روجيه عوطة

البائِنُ منَ الجِنسِ في لبنان



مؤسسة دار الجديد

روجيه عوطة

البائِنُ منَ الجِنسِ في لبنان

مؤسسة دار الجديد

مؤسسة دار الجديد

الطبعة الأولى، ٢٠٢١

بدعمٍ مشكورٍ من الصُندوق العربيّ للثقافة والفنون ـ آفاق أنجزَ الكاتبُ مؤلّفه

لوحة الغلاف: منجورٌ أخضر، بريشة ألبير ماركيه

*

دارة محسن سليم ـ حارة حريك
بيروت ـ لبنان
صندوق بريد: ٥-٢٥ الغبيري
هاتف: ٩٦١-١-٥٥٣٦٠٥
www.dar-al-jadeed.com
daraljadeedbeirut@gmail.com

*

ترقيم دولي: 978-9953-11-203-9

إلى كـ ...

يـومًا ما، سـتــقــرؤه.

الجنس هو خوضٌ لتجربة عدم الاستمتاع بجسد الغير
إيريك لوران

يطيل الكلام، بما هو لحم المرآى، عزو الجسد الى الكائن في اللا ـ مرآى
موريس ميرلو ـ بونتي

دِيــباجَـة

لا أضع هـذه الديباجـة لتقديـم النـص اللاحـق، إنّمـا لكـي أشــير الــى اسـتفهام بعينــه، وهــو: كيــف تــدور الكتابــة حــول الجنــس؟ فعليًــا، مــردّ إشــارتي إليــه، هــو أن الكتابــة حاليًــا لهــا مــا تقولــه فــي الجنــس، وهــذا، لأنــه، ومــن وضعـه الراهـن، يتعيّـن مقبلـه كأنـه ليـس سـوى خبـر كان. هــذا الوضــع هــو وضــع كشــفه، الــذي لا يتعلــق بأفلمتــه البورنوغرافيــة فحســب، إنمــا كل مــا يمــت بصلــة بهــا: ســرده، شــعره، علمــه، رفعــه ممنوعًــا، إعلائــه تحــررًا... كل «مقالبـه» هـذه، ومـع اسـتوائها علـى وضعـه ايـاه، تفعـل ذلــك، وأساسًــا، علــى نحــو تقديمهــا لــه كأنــه عنــوان الانسـجام والتناغـم، أو، وبطريقـة أخـرى، شـبقي ونشـواني علـى الـدوام. وبهـذا، تقديمـه كمـا لـو أنـه الفـردوس، الـذي لا يجـب سـوى الذهـاب إليـه.

بالطبـع، الكتابـة، حيـال هـذا الفـردوس، مدعـوة، باسـتمرار، الــى ان تكتفــي بالاشــارة إلــى أن وضــع الجنــس ذاك هــو وضــع تمثيلــي، بحيــث إنّــه فــي كشــفه، أكان البورنــو، أو

المتشـكل منـه، أو المحتـذي بـه، هـو «تمثيـل بتمثيـل». إذ لا بـد، وللوقـوع علـى الجنـس، مـن الإشـاحة عنـه، مـن أجـل الدرايـة بـه فـي رجائـه. هـذا الرجـاء، وحيـن تحـدّده دعـوة الكتابـة تلـك، تطلـق عليـه اسـم العيـش: بـدل الجنـس فـي الكشـف، هنـاك الجنـس فـي العيـش، والتنقـل مـن الأول الـى الثانـي مكفـول بحـد راسـخ للغايـة.

نافـل الذكـر أنّ قـوام هـذه الدعـوة حسـبان أن العيـش لا تمثيـل فيـه، وهـذا، مـا ينسـحب علـى الجنـس داخلـه. ولكـن، هـذا الحسـبان، وبذاتـه، لا يضاهـي العيـش، حيـث الحضـور فيـه لا يتحـرّك مـن دون أي تمثيـل. فـي النتيجـة، الفـارق بيـن العيـش والكشـف، ومـن ناحيـة جنـس كل طـرف منهمـا، أن الأوّل تمثيلـيّ فـي حيـن أنّ الثانـي، وعنـد تحديـد البورنـو كتمامـه، متفاقـم تمثيليًـا. ولكـن، هـذه المقارنـة لا تلغـي صلتهمـا التـي تفيـد، وعلـى الأقـل، بكـون الكشـف، وفـي تفاقمـه، هـو، بدايـة، يسـجل ابتغـاء مـن العيـش حـول الجنـس، ابتغـاءً ينـمّ عـن عطـل فـي تمثيليتـه، أو عـن عطـل فـي تسـيير تمثيلـه لـه علـى وجـه الدقـة. كمـا أن الكشـف، وحيـن يحقـق الابتغـاء هـذا داخلـه، فهـو يدفـع عيشـه إلـى تأديتـه. بطريقـة اخـرى، الكشـف، وبالتسـجيل والتحقيـق، يجعـل مـن العيـش هـذا مـداه، بحيـث ينتـج لـه الجنـس الـذي يبغيـه، والـذي يجعلـه عليـه. بذلـك، يصيـر الجنـس فـي العيـش هـو الجنـس فـي الكشـف، أو محاولتـه التأديتيّـة، التـي، ومـا إن تخفـق، حتـى تنطـوي علـى إرادة

أن تكـون مطابقـة لـه بالكامـل.

علـى أنّ الكتابـة، حيـن تضـع تلـك الدعـوة جانبًـا، فهـي تصيـر، حيـال الجنـس، كأنهـا، وبخطهـا، علـى تدبيـر لـه، فـي كشـفه وعيشـه علـى حـدّ سـواء، وهـذا التدبيـر يسـتلزم أن تتقـدم منهمـا، وأن تجـد فيهمـا مطرحًـا. ومـن هـذا المطرح، هـي تتدبـر الجنـس علـى بيانـه فيهمـا، لا كمـا يريـد إنتاجـه كرجـاء جنائنـي، إنمـا علـى أسـاس مـا يعبـر ويعتـرض منـه انتاجـه هـذا. وفـي أثنـاء تدبّرهـا هـذا، تنطـوي علـى تحيّـة إلـى هـؤلاء، الـذي يُبـرزون الجنـس مثلمـا هـو فـي وضعـه الراهـن، وبالفعـل نفسـه، يبـدون أنهـم يُضرِبـون عنـه: تحيـة إلـى اللاجنسـيين.

لســــــــــــــان

[١]　«بيِحكوا مع بعض»

مع سماع هذه العبارة، من الممكن الدراية بكون فاعليها، بِحَكيهم بعضهم مع بعض، هم يَتحابُّون. بالتالي، الحَكيُ، هنا، هو رديفُ الحب، بحيث أنَّ الإقدامَ على الأولِ هو مسعى إلى الثاني. وقد يصح القول إنهما يصيران على هذه الحال لأنَ الحكيَ ينطلق في إثر الحبّ، أي في إثر حُدوثه، بحيث إنَّ فاعلِيه يحاولون، كلٌّ من جِهته، الذهابَ نحوه. على سبيل الحَكي، ومَتنِه، يتقدم هؤلاء منه، وبهذا، هم يقتربون الواحد من الأخر، ولكنَّ هذا الاقتراب لا يبلغ تمامه، إنما يُفضي، وباستمرارٍ، إلى مسافةٍ بينهم. في هذه المسافة بالتحديد، يقع الحب، الذي مهما اقتربوا منه، لا يستطيعون أن يتعدُّوه لكي يجعلوا من تقاربهم التصاق، فهو، وعلى الدوام، في منتصفهم.

على هذا النحو، الحكي، وكلما أقدَموا عليه، يجعلهم على مَقربةٍ من ذلك المنتصف، لكنه، وفي الوقت

نفســه، يُوقِفهــم علــى حــدوده لكيــلا يتخطّــوه. فالحكــيُ يخـطُّ هـذا المنتصـف، بمعنـى أنـه يخلقـه، وبالفعل نفسـه، يصونـه، بمعنـى أنـه يُبقِيـه بينهـم. فيبـدو الحكـي أنـه هـو الـذي يكفـل الحـب، بــمُواصَلة خَوضـه، مثلمـا أنـه الـذي يضمــن حضـوره، إذ إنــه، وكلمــا دار، يُبـــرِزه، أو بالأحــرى يَبــنيه. أمـا، وحيـن يـزول، فهـو بذلـك ينقـلُ لـه اندِثـارَه، فمَصيـر الحـب مـن مصيـر الحكـي، والعكـس بالطبـع، كمـا لـو أنَّ صِلتَهمـا هـي التطابـق.

ولكـن، مـاذا يحكـون؟ قـد تصحُّ الإجابـة بأنهـم يحكـون عـن الحــب، إلَّا أن الحــب، ولأنــه حــدَث، لا يســتطيع حَكيُهــم إصابتـه، بمعنـى أنـه لا يقدر علـى مُضاهاتـه. فعندما يحكون عــن الحــب، هــم يحكــون عــن شــيءٍ غيــره، ولا يواظبــون علـى حكيهـم سـوى لأنهـم لا يتمكَّــنون منـه، ومـا التمكـنُ مـن الحـب سـوى قولـه. الحـبُّ غيـر قابـلٍ للقـول، لذلـك، يحـضُّ علـى الحكي عنـه، وهـذا الحكـي، يسـعى إلـى قولـه، وفــي عقــب مَســعاه، لا يُحـرِزه، مـا يـؤدي إلـى مُعاودتـه. علـى هـذا المنـوال، مُحصِّلـة الحكـي هـو ذلـك غيـر القابـل قولـه، بحيـث إنـه يُفضـي إلـى الإشـارة إليـه، إلـى كونـه فـي المنتصـف بيـن فاعلِيـه. فهُـم، وحيـن يحكـون عـن الحـب، يـؤدي حكيُــهم إلـى بُـروزه كــغير قابلٍ للقـول بينهـم، بُروزه هكـذا يسـاوي حدوثـه مـن جديـد.

بيِــحكوا مـع بعـض: يُحاولـون قـولَ الحـب، وفـي كل مـرة،

يقـع بينهـم تَحمِلُهـم مُحاولتهـم إلـى كونـه غيـر قابـلٍ للقـول.

[٢] «نَعـمـل واحد»

علـى أنَّ الحكـيَ، وفـي لحظـة اشتِـداده، يَنقـل فاعلِيـه إليـه، بمعنـى أنهـم يغـدون داخلـه، وعندهـا، يكونـون فيـه بأجسـادهم التـي تتحـرك، وعلـى سـبيله، بعضهـا صَـوب بعـض. بهـذا، يتحـوّلُ الحكـيُ إلـى احتـكاك، بحيـث إنّ أجسـادَه تمضـي فـي نحـو الحـب، وبالتالـي، تقتـرب بعضهـا مـن بعـض بالتلامـس والدَّغدغـة قبـل أن يصيـر هـذا التَّـقارب بيـن الأجسـاد إلـى جِمـاعٍ باعتبـاره خاتمتهـا.

مصيـر هـذا التقـارب فـي هـذا السِّـياق لـه عبـارةٌ بـعَينها، وهـي «نعمـل واحـد»، إذ إنَّ الإقـدام علـى الاحتـكاك بعـد الحَكـي، قـد يسـتوي علـى ارتباطـه بـحُسبان أن الجمـاعَ ذاك، الـذي يبلغُـه بيـن الأجسـاد، قـد يـؤدّي إلـى استكـمال تقاربهـا، وبالتالـي، إتمامـه، لـتَصير «واحـدًا». فالجمـاع هـو الـذي يُتيـح، وعلـى الحسـبان إيـاه، لهـذه الأجسـاد، تخطِّـي المسـافة التـي تفصـل بينهـا، فـتَلتحِمُ وتتلاصـق: تَدخـلُ فـي وصـالٍ جِنسـي.

مـن هنـا، «الواحـدُ» الـذي، وفـي ذلك الحسـبان «ينعمـل»، هـو، وإنْ ظهَـر أنـه العضـو الذَّكـري، أو أنـه الجمـاع، لكنـه،

قبـل ذلـك، ولــيبدو كذلـك، هــو رقــم توحيـد الأجســاد، تحوّلهـا الـى جسـد واحـد، أي رقـم كمـال تقاربهـا، رقـم جنسـها. ولكـن، فـي حـال كان الواحـد هـو رقـم الجنـس، فمـا هـو رقـم الحـب؟ إنـه الصِّفـر.

فالصِّفـرُ هـو الـذي يقـع فـي المنتصـف بيـن الذيـن يحكـون بعضهـم مـع بعـض، وهـو الـذي يخطُّـه الحكـي ويصونـه. إلا أنَّ تحـولَ حكيهـم إلـى احتـكاكٍ بيـن أجسـادهم قـد يجعلهـم علـى حسـبانِ أنهـم فـي وسـعهم تعـدِّي ذلـك الصفـر، أيْ تعـدِّي موقعـه فـي المنتصـف، إلـى «الواحـد»، إلـى «عَمَلانِـه».

الصفـر: الحـب، أي بمـا هـو مجـال لمـرور الرغبـة عبـره تحديـدًا.

الواحد: الجنس، أي وصاله على وجه الدقة.

[٣] الكـلامُ القـذِر

إلا أن الواحـد لا «ينعمـل»، مـن الأدلـة علـى ذلـك هـو مـا يوصـف بالـكلام القـذر.

فخـلال الجمـاع، ينطلـق هـذا الـكلام، ليَسـتقرَّ علـى وصفـه هـذا، واسـتقراره عليـه، يتعلّـق بأنـه، بدايـةً، يُسـمِّي أعضـاء الأجسـاد فـي حيـن احتكاكهـا. وبالتالـي، هـو يحضُّهـا علـى الاسـتمرار فـي وضعهـا هـذا، مُهيِّجًـا إياهـا. كمـا أنـه، وبـدل

الإشـارة إلـى تلـك الأعضـاء، قـد ينقـل حاملِيهـا إلـى مشـهدٍ، حيـث يُزاوِلـون جماعًـا مختلفًـا عـن جِماعهـم فـي وقـتِ افتـــراضه: ســيناريو فانتازمـــي، يَظهـــرون فيـــه، يتفرجـــون عليه، فـــيَستحِثُّهم.

ولكــنَّ قــذارةَ الــكلام ذاك لا تتعلــق بكونــه يُســمِّي تلــك الأعضــاء أو يَبـــني ذلــك الســيناريو فحســب، بــل بأنــه، يُفيـد بكَـون الجمـاع، الـذي ينطلـق فـي أثـنائه، لا يُدخِـل الأجسـاد فـي وصـالٍ جنسـي، ولهـذا بالتحديـد، يرتكـز عليـه، لــيسدَّ الفصـال بينهـا. فـقَذارة هـذا الـكلام ترتبـط ـ وأكثـر مـن كونهـا وصـف، بـل حُكـم عليـه ـ بكونـه يُثبـت كـونَ الجمـاع لا يَجمَـع، أي أنـه لا يُوصِـل جِنسـيًّا، أو لا يحملـه إلـى «الواحـد».

فـيُبيِّن الـكلامُ بــقذارته أنَّ الجمـاع، ومهمـا مُـورِسَ، لا يؤدي إلـى الوصـال الجنسـي... إلـى التوحيـد... ، لا يـؤدي إلـى الواحـد. علـى العكـس، يـؤدي الجمـاع إلـى التأكُّـد مـن كون هـذا الواحـد لا «يَنعَمِـل»، إلـى التأكّـد مـن كـون أجسـادِه تنطلــق مــن الصِّفــر، ولكــنْ لا تتخطَّــاه، بحيــث يَبقَــى فــي المنتصـف الـذي يخطُّـه الـكلام بينهـا (أي الأجسـاد) فـي حيـن نزولِـه عليهـا. كمـا لـو أنَّ هـذا الـكلام، ومـا إن يـدور فـي حيـن جماعِ الأجسـاد، حتـى يُشـير إلـى فِصالهـا، وبإشـارته هـذه، يُثيـرها كـي تسـعى إلـى الوِصـال، إلـى «عَمَلان الواحـد»، مـن جديـد، ولكـن، مـن دون أن تُحقِّقـه.

فـجِماعها، وفـي كل مـرة، تُقـدِم عليـه، لا يَحملُهـا سـوى إلى الصِّفـر بينهـا، إلـى كـون «الواحـد لا يَنعَــمِل».

[٤] فَـعْـــط!

تُوصَــف مُزاولــةُ الجمــاع بالفَـعْـــطِ للإشــارة إلــى أنهــا شـديدة، ولكـنَّ، الوصـف نفسـه، الـذي يُفيـد بشِـدتها، يُبـدِّد هــذه الشــدة، ويجعلهــا ضَربًــا مــن المبالغــة. علــى هــذا النحـو، لا يمكـن سـوى تقريـب «فـعــط» من الـ«انـفِـعاط» علـى وزن الـ«انـفــعال»، الـذي يعنـي الاسـتمتاع بموضـوعٍ مـا أكثـر مـن الـلازم، أيْ بإفـراط. وهـذا، علـى الرغـم مـن كـون هــذا الموضـوع لا يسـتحق كل ذلـك، بـل إنَّ تصـوره علـى شـكلٍ مُحـدَّد هـو الـذي يجعلـه يسـتحقه.

علـى أنَّ الشـكلَ الـذي يرسـو عليـه تصـور الموضـوع إيـاه هــو أنــه يُوفِّـر قيمــةً للمُستَمــتَع بــه، رتبــةً، أو مكانــةً، أو موقعًــا، أي إنّــه، وفــي كل الأحــوال، يُســوِّغ وجــوده. علــى هـذا النحـو، يحسـب المُنفَـعِطُ (أو المَفعُـوط) أنـه يَنوجِـد عبـر موضوعـه، الـذي يصير علـى قـدرٍ مـن الأهميـة، يمـدُّه بهـا. الإنفِعـاطُ هـو اسـتمدادُ هـذه الأهميـة مـن الموضـوع، ولا يمكــن حصــول هــذا الاســتمداد إلا بالتحــول إلــى ذاك الموضـوع، فالمُنفَعِـطُ بالشــيء يريـد أن يكونـه.

جَعـلُ الجمـاع فَـعْــطًا بمثابـة قَلبـه إلـى هــذا الموضـوع،

الـذي يُشـير إلـى أهميـةٍ مبالـغٍ بهـا. إذ إنَّ الفاعِـطَ هـو الـذي يُقـدِّم الجمـاع لغيـره كأنـه يقـدّم لـه مُبـرِّرَ وجـوده، ومـا علـى هـذا الغَيـر سـوى أن ينقلـب إلـى مُنفَعِـط. إلا أنَّ الفاعِـطَ، وحيـن يـرى فـي الجنـس فَعْـطًا، فهـو يؤكـد أنـه، وقبـل أن يتقـدم بـه نحـو غيـره، كان قـدِ انفَعـطَ بـذات الموضـوع، يؤكـد أنـه مَفعـوطٌ بـه.

المَفعـوطُ يريـد أنْ يصيـر فاعِـطًا لسببٍ معيـن: يـدري أنَّ موضوعـه ليـس علـى ذات الأهميـة، لهـذا، يحـاول نفـيَ دِرايــته هـذه بـأن يُبالـغ فـي تصوير الموضـوع ذاته لـغيره. الفاعِـطُ لا يريـد أن يواجـه حقيقـةَ أنَّ موضوعَـه لا يُسـوِّغ وجـودَ أحـدٍ، لـذا، يحـاول نقـل نَفيِهـا إلـى غيـره، يحـاول أن يفـرض نفـيَ الحقيقـة تلـك عليـه، وفـي أثنـاء ذلـك، يُـردِّد لـه: «هـذه هـي بُغْـيَـتُـك».

[٥] فَــقْــع!

إلّا أنَّ الـذي يُصـوِّر الجمـاع «فَعطًـا»، بينمـا هـو لا يقنـع غيره بذلـك، يجعلـه «فـقـعًا»، ووصفـه علـى هـذا النَّحـوِ ينطـوي علـى مـا يُشـبه ردَّ الفعـل حِيـال انعـدام الاقتــناع بمـا صـوَّره. ففـي قَلـبِ الجمـاع «فـقـعًا» ضـربٌ مـن الانتقـام مـن الغيـر الـذي لا يقتـنع بكـون الجنـس إيـاه هـو بُغـيَـته، هـو الـذي يُسـوِّغ وجـوده، وهـذا الانتقـام مَفـاده إقناعـه بالقـوة إلـى

درجـةِ نَفيـه. فالجمـاع، وفـي سياق تحويلـه «فـقــعًا»، يغدو لُغْمًـا، يزرعـه الفاعِـطُ بحـق غيـره، ويُطيـح بـه.

مـن الممكـن عَطـفُ «الفـقــع» علـى عبـارةٍ أخـرى، وهـي: «أُوعَ يفــقع». إذ تُقـال هـذه العبـارة، أولِيًّـا، لمَـن يحتـدُّ في تقديـم تصـوّره عـن شـيءٍ مـا بعـد إعـلان انعـدام الاقتنـاع بتصـوره هـذا، أو دَحضـه. علـى أنـه، حيـن يُقـال لـه «أُوعَ يفقـع»، يُحـذِّر مـن «فقـع» التصـور إيـاه، الـذي يحتويـه، والـذي، ولأنــه يحتويـه، يُغالـي فـي تقديمـه كأنـه يُقـدِّم نفسـه. هـو، فعلِيًّـا، وحيـن يحتويـه تصـوّره، لا يكـون سـوى ذاتـه، بمعنـى أنـه مُبتــلَعٌ مـن قِبَـلِ الإيـــغو.

علـى هـذا النَّحـو، عندمـا يُقـدِّم الفاعِـطُ الجماعَ كـ«فـقــع»، يُكـره غيـره علـى الاقتنـاع بتقديمـه، يفـرض تصـوّره عـن الجمـاع، تصـوره الـذي يحتويـه، والـذي يَبتـلِعه، علـى الغير. وفــي الوقــت نفســه، يحــاول التخلّــص مــن هــذا الغيــر بوصفـه ليـس مقتــنعًا. وفـي إجبـاره علـى الاقتنـاع فهـو يحـاول ابتلاعـه بتصـوره، بذاتـه، بالإيـــغو، الـذي يُسـقطه عليـه، ويضـرب جسـده بـه.

ولكــنْ، مـا هــو هــذا التصــوّر عــن الجمــاع الــذي يَبغــي تقديمــه «فَعطًــا» أو «فَقعًــا» للإقنــاع بــه؟ تصــوّره بــأنَّ الجمــاع مُســوِّغُ وجــودٍ لمُزاوِليــه صحيــح، ولكــنَّ تصــورَه علـى هـذا المنـوال، ينطلـق مـن معتــقَدٍ بعينـه: أنَّ الجمـاع يُحقِّـق الجنـس... وِصالـه... يُفضـي إلـى «عَمَـلان الواحـد»...

إلــى الواحــد.

ربمــا، قــد يصحُّ القول بــأنَّ التمسـكَ بكـون الجماع «عَــملانًا للواحـد» هـو إشـارة إلـى غيـاب القـدرة علـى تحمّـل خَـوضِ الصفـر، وبالتالـي، هـو مسـعى إلـى السـابق عليـه. السـابق؟ هـو واحـد معـدود. فالـذي خـاض علـى تحمّـل الرغبـة فيـه ومـن خلالـه الصِّفـر، حَكـيًا واحتِـكاكًا، يظـن أنـه كان واحـدًا قبـل هـذه العمليـة. تاليًـا، يريـد مِـن بعدهـا العـودةَ إليـه مـن خـلال «عَمَلانـه»، متقاسـمًا عـدّه أنـه «يَنعَــمِل» مـع غيـره، ينصهـران معًـا فـي المعـدود ،فارضًـا عـده عليـه إنْ لـم يقتنـع، فيَبغـي صَهـرَه فـي المعـدود رغمًـا عنـه.

تقديـمُ الجمـاع كــمُسوِّغٍ للوجـود يعنـي تصـوّره سـبيلًا إلـى الواحـد. كمـا لـو أنَّ الصِّفـرَ... خوضَـه، لا يتيـح الوجـود، أو بالأحـرى لا يمكـن الانوجـادُ بـه، كمـا لـو أنَّ التوحيـد هـو شـرطُ الوجـود. بَيـدَ أنـه، وبهـذه الطريقـة، يغـدو الوجـود مُشـيَّدًا علـى «واحِـد»، هـو فـي أساسـه، «لا يَنعَمِـل»، لـذا كلمـا ارتطَـم ذلـك الوجـود بكـون واحِـدِه علـى هـذه الحال، يرتطـم بكونـه مُشـيَّدًا علـى مـا لا يمكـن تحقيقـه، بالتالـي، ينغلـق علـى ذاتـه لكـي يَنفِــيَ ذلـك.

الوجـودُ الـذي لا يريـد أن يقـومَ بـ«عَمَـلان الواحـد» فقـط، بـل، وأساسًـا، بــنَفي أنـه «لا يَنعَمِـل»، ولأنـه لا يسـتطيع تركيـز هـذا النفـي سـوى بالانغـلاق علـى ذاتـه، يبغـي أن يكـون مـن دون آخَـر، يسـعى إلـى القضـاء علـى كلِّ آخَـر.

لهـذا، «الفَعـطُ» و«الفَقـعُ»، وبوصفهمـا فرضًـا للتصـور عـن كــون «الواحــد يَنعَمِــل»، يُســجِّلان تلــك البُغيــة، وذلــك المســعى، ويُبرِزانــه بحــقِّ الغيــر بمــا هــو مــن مقامــات الآخـر. إذ يُبيِّنـان أنَّ «عمَـلان الواحـد»، باعتــبار أنَّ استِواءَه مُترتـبٌ علـى نَفـي أنـه «لا ينعمـل»، هـو قضـاءٌ علـى الغيـر بغايـة إزالـة آخَرِيَّــته. الإزالـة، وإن كان فَـرضُ ذلـك المعدود يُبيِّنهـا علـى أكمـل وجـه، إلا أنَّ الانصهـار فـي المعـدود نفسـه ينطـوي عليـه أيضًـا. فالمعـدود هنـا لا يـدور سـوى باجتِــثاث الآخَـر، ليكـون جِنسًـا مـن دونـه... جِنسًـا بـلا جنــس.

فـي هـذه الجهـة، يتحـوّل الجنـسُ، وبــجِماعه، إلـى مجـرد اعتـداءٍ علـى الغيـر، ويصيـر الاعتـداءُ بـه علـى هـذا الغيـر مُسـجِّلًا لتحوّلـه هـذا، يعنـي أنـه يُعبِّـر عنـه، وليـس عـن طـارئٍ عليـه. إذ إنـه، وحيـن يكـون «فَعطًـا» أو «فَقعًـا»، أو حيــن يغــدو إلزامًــا بكــون «الواحــد يَنعَمِــل»، فهــو يرتكــز علـى إلغـاء ذلـك الغيـر، استِدخالًا لـه فـي «الواحـد»، وقبـل هــذا، إرغامًــا لــه علــى «عمَلانــه».

فعندمـا يغـدو الجنـس علـى هـذا النحـو، أي عندمـا يقـوم بنفــي كــون «عمــلان الواحــد» ليــس ممكنًــا، فهــو يعــادل إكــراه الغيــر عليــه، متدرّجًــا مــن مطلعــه الــى تمامــه، وبهــذا، لا يكــون جنسًــا، إنمــا يكــون إرادة عنــف. ففــي هــذا الجنــس، ثمــة إعنــاف، قــد يُنفِّــذه «فاعِطٌ»/«فاقِـعٌ»،

قـد يذهـب إلـى تنفيـذه مُعتقـدًا بكـون «الواحـد يَنعَمِـل»، ولكـي «يعملـه»، مـا عليـه سـوى أن يُزيـل غيـره وأن يفرضـه عليـه بغيـةً وفعـلًا. وهـو يعتــقد ذلك لحسـبانه أنه، مُسـبقًا، يملــك «الواحــد»، وأنَّ «الواحــدَ» هــو قضيبــه وســلطته، ولحسـبانه أنَّ كل غيـرٍ لـه لا يريـد سـواهما، أو بالأحـرى لا يمكـن لـه أن يريـد سـواهما.

فالجنـسُ، الـذي يفرضـه، هـو جنـسٌ منــزوعُ الرغبـة إلـى الغيـر فـي نحـو آخرِيَّــته، ليكـون متطابقًـا مـع نـزوع إلـى الغيـر مـن أجـل تحطيمـه، وهـذا لأنـه، وكمقـامٍ للآخر، يَبــرزُ كأنـه علامـة علـى الاقتـراب مـن الآخـرة. فالـذي يحسـب أنه يملـك «الواحـد» لا يجـد فـي آخَرِيَّـة غيـره سـوى الآخـرة، لأنهـا، وببسـاطة، تُحِيلُـه إلـى آخرِيَّــته هـو. إذ يعتـدي علـى غيـره لكـي يسـتأصل آخرِيَّــتَين:آخريته وآخريـة غيـره.

[٦] فَـرَطَ حُبـهم

تشـير هـذه العبـارة إلـى كـون فاعلِيها قـد وقعـوا فـي حـب بعضهــم البعــض. وبإشــارتها هــذه، تنطـوي علــى مفارقــةٍ بعينهـا، وهــي أنَّ وقوعَهــم فــي الحــب يســاوي انفِراطــه. ووضعــه هــذا يحيــل إلــى الإفــراط، أو التفريــط، ولكنــه، وبالتــوازي مــع ذلــك، يفيـد بالانفـكاك والتبـدُّد. بالتالـي، يصـح التسـاؤل عـن مـردٍّ انفـراط الحـب عنـد الوقـوع فيـه.

فِعليًّـا، يبـدو الحـب، وقبـل ذلـك الوقـوع فيـه، أنـه كان معقـودًا، لكنـه، وفـي إثـره، قـد انفـرَط. علـى هـذا النحـو، هـو سـابقُ الوجـود علـى الوقـوع فيه، بمعنـى أنَّ صفـرَه كان موجـودًا، ومتماسـكَ الوجـود، بيـن المتحابِّيـن، إلا أنَّهـم مـا إنْ وقعـوا فيـه، حتـى حلّـوا تماسُـكَه هـذا. وفـي حـال كان الحكـيُ هـو الـذي يخـطُّ ذلـك الصفـر، مثلمـا أنَّ الاحتـكاكَ يحمـل علـى تحديـده، فوقوعهـم فيـه يُفضـي إلـى انحلالـه. وهـذا، مـا يقلـب التسـاؤل ذاك إلـى اسـتفهامٍ مُحـدَّد: مـا هـو هـذا الوقـوع الـذي يـؤدي إلـى تقويـض الصفـر؟

إنــه وقــوعٌ ينــمُّ عــن معتقـدٍ أنَّ «الواحــد يَنعَمِـل»: بعـد الصفـر، مـن الممكـن «عمَـلان الواحـد». علـى أنَّ السـبيلَ إلـى تحقيـق هـذا الإمـكان هـو نفـيُ الصفـر نفسـه... فَرطه، بحيــث إنَّ ذلــك يتيــح للمُتحابِّيــن أن يصيــروا «واحــدًا». فالوقـوع فـي الحـب، هنـا، لا يقـوم بإثبـات الصفـر، إنمـا بإلغائـه... بإلغـاء رقمـه، ليسـتعيض عنـه بـ«الواحـد». إنـه الوقـوع فـي الحـب الـذي يزيـل الرغبـة، إنّـه الحـب الـذي يقـوم بفَـرط الحب علـى أسـاسِ أنَّ خطَّه بالحكـي، وتحديدَه بالاحتـكاك، ليسَـا سـوى فعليـن مـن أجـل «الواحـد».
فكلمـا طغَـى معتــقدُ أنَّ «الواحـد يَنعَمِـل»، يصيـر الحـب... الوقـوعُ فيـه، يسـاوي انفراطَـه، تمامًـا، مثلمـا يصيـر الجنس، وبفِعـل المعتقـد إيـاه، مُسـاويًا لهلاكه.كيـف يطغـى هـذا المعتقـد؟

مـــــراءاة ومـــــوارة

[١]   إخبار الصندوق

لقد اعتادت الصحافة اللبنانية على الركون الى إذاعة الخبر الجنسي، وهو، وعلى الغالب من أحيانه، يبدو مؤلفًا على منوال بعينه: منوال الدَّفع إلى الاطِّلاع عليه على أساس أنها تفضي إلى مُلاقاةِ الجنس فيه. بهذا، يصير ذلك الخبر كصندوقٍ مُقفَل، ولفَتحِه، وانطلاقًا من عبارةٍ شهيرة تُرافقه في نشره على مواقع التواصل الاجتماعي، لا بد من «النَّقر على الرابط التالي».

إنه صندوقٌ مُربَط، ولفَتحه، والعلم بما فيه، من الضروريِّ حلّ ربطه. وبهذا، يحيل إلى فقرة «الكنز المفقود»، التي كانت المؤسسة اللبنانية للإرسال تعرضُها خلال برنامج «نهاركم سعيد»، والتي كانت تدور حول صندوق، يحاول المتفرجون أن يَحزُروا ماهية الشيء في داخله. فخبر الجنس، في هذه الناحية، أخذَ مكان الفقرة، كما أنَّ «النقر على الرابط» أخذ مكان مهاتفة المُذيعين الذين يقدمونها. إذ إنَّ

الحكـي زال لصالـح الــ click، ومـا عـاد المتفـرج متكلمًـا، صـار ناقِـرًا.

وبالنقـر علـى الخبـر، الـذي يحمـل عنوانًـا مـن قَبيـل «جنس فـي الشـارع»، وقـد يُضـاف إليـه «بالصـور»، يـؤدي ذلـك إلـى الوقـوع علـى نبـأٍ حـول سـيارةٍ متوقفـة فـي شـارع مـن الشـوارع. أمـا الجنـس داخلهـا فهـو مـن ظـنِّ المحـرر، مثلمـا أنـه مـن ظـن الـذي مَـدَّه بالصـور. علـى هـذا النحـو، لا جِنـسَ فـي الخبـر، ولا فـي صُـوره، فهـو عبـارة عـن عنـوانٍ لهمـا، بحيـث أن الذهـاب إليهمـا للوقـوف عليـه لا يحمـل سـوى إلـى الوقـوف علـى انعـدام وجـوده داخلهمـا: يُحـوِّلاه إلـى فـخٍّ ينصبـاه فـي مقدمتهمـا مـن أجـل السـقوط فيهمـا. تحويلـه هـذا يعنـي جعلـه مجـرد عنـوان، ينعـدم تحتـه.

علــى أنَّ تعليــلَ انعدامــه هــذا غالبًــا مــا يُربَــط بكــون الصحافـة، وقبلهـا، مؤسسـة الإعـلام على عمومهـا، ومعها، كل المؤسسـات المُتأعلِمـة، هـي تقليديـة، إذ إنهـا لا تأتـي علـى الإخبـار عـن الجنـس مـن بـاب الالتــزام بـالآداب العامـة. علـى أنَّ تلـك المؤسسـة، وفـي الوقـت نفسـه، وهـو وقـت ارتِطامهـا بأزماتهـا المتلاحقـة، وعلـى رأسـها أزمـة فُقدانهـا لجمهورهــا، تســتند إلــى ذلــك الإخبــار لكــي تعيــد جــذب المتفرجيــن بــه، ولكــن، مــن دون اســتكماله. بهــذا، تصنــع تلــك المؤسســة خبــرَ الجنــس، تُحقِّــق بــه بُغيتهــا، يعنــي بُغيــة الجَــذب، وبالفعــل نفســه، وبالارتــكاز علــى الْتــزامها

الآدابــي، الـذي يصيـر مـن مَسـاند الترويـج، تمحـي الجنـسَ مـن خبـره. تتأرجـحُ بيـن خبـر الجنـس، وإزالتـه مـن خبَـره، وبهـذه الطريقـة، تشـير إلـى أنـه فـي الصنـدوق ولا تضعُـه فيــه، وبهــذه الطريقــة، تحــضُّ علــى فتــح كل الصناديــق لإيجــاده.

[٢] التــأدُّب والتَّــبَـورن

حيــن تتحــوّل المُدوَّنــةُ الآدابِــيّة إلــى مســندٍ مــن مســاند الترويـج، التـي تعتمدهـا مؤسسـة الإعـلام، فبهـذا، تبـدو تلك المُدوَّنـة علـى صلـةٍ بغيرهـا، أي بالمُدوَّنـة البورنوغرافِـيّة.

فتلـك المؤسسـة، ومـع ارتكازهـا علـى الإخبـار عـن الجنـس، علـى تصنيـع صُندوقِـه بلا وضعـه فيه، تمضـي إلى التَّــبَورُنِ، بمعنـى أنهـا تأخـذ مـن المؤسسـة البورنوغرافِيّـة مِثـالًا لهـا. بالطبـع، لا يمكــن للإعــلام أن يصيــرَ مثالــه البورنوغرافــي، أو أن يُحقِّقـه بالكامـل، لأنـه عندهـا يفقـده كوجهـةٍ تُعِينُـه علـى نكـران أزماتـه، بـل إنه يكتــفي بمُحاكاتـه، بالتَّــطبُّع به علـى سـبيل العَنوَنـةِ تحديـدًا. إنـه يَتــبورنُ دون أن يغـدو البورنـو بحـدِّ ذاتـه.

علـى هـذا الشـكل، تصيـر المدونـةُ الآدابِيـة مُعِينَـةً علـى التَّــبَورُن، وهـذا، بدايـةً، لأنهـا تتيـح للإعـلام ألا يتحـوّل إلـى البورنـو، بـل تُوقِفُـه علـى حـدٍّ يسـبق هـذا التحـوّل، وبالفعل

نفسـه، يَضمنـه. تُمسِـكُ المدّونة الآدابِـيّة بالإعـلام في عقب عمليـة تَبورُنِـه، وتُرجِعُـه إلـى مطلعهـا، وبهـذا، تَسـنح لـه أن يكررهـا، ومـن دون أن يُنجزهـا علـى تمامهـا بالطبـع لكـي يسـتمر فيهـا. إنهـا تسـهر علـى تَبورُنـه... تحافـظ عليـه.

فـي هـذه الناحيـة، تسـتوي الصلـةُ بيـن المدونـة الآدابِـيّة والمدونـة البورنوغرافيـة: الأولـى تَكفـلُ تحـوُّلَ الإعـلام إلـى الثانيـة مـن دون أن يندمـج فيهـا، بالتالـي، هـي تكفـلُ رَفعها كـمثالٍ لـه. فـي المقابـل، الثانيـة تسـتمد مُسـوِّغها مـن الأولـى، بحيـث إنهـا، ولكـي ترتفـع، تشـير إلـى أنهـا، وعلـى عكسـها، لا تزيـل الجنـس، بـل تطيـح بإزالتـه، وبعبـارة واحـدة، ترائيـه، أي تجعلـه مرئيًـا.

فـلا يمكـن لأيِّ مدونـةٍ مـن المُدوَّنـتَين أن تَنوجِـدَ بـلا غيرهـا، بحيـث أن الآداب تُكـرِّس البورنـو كوجهـةٍ بتوقيـف الذاهِـب إليهـا، والبورنـو يُكـرِّس الآداب كعلـةٍّ وجـود. بعـد هـذا، يعـود السـؤال إن كانـتِ الآداب تُنتِـج البورنـو، أم أنَّ البورنـو هـو الـذي يُنتجهـا، نافـلًا، فالاثنـان يُنتجـان بعضهمـا البعـض: الآداب تحمـي البورنـو، والبورنـو يحمـي الآداب.

لكـنَّ الصلـةَ هـذه تتعـدى الإنتـاجَ المتبـادل إلـى مـا يُبيِّـنه تَبـورُن الإعـلام باعتبـاره، وفـي نهايتـه، إزالـةً للجنـس مـن الإخبـار عنـه، بمـا هـو مـواراة للجنـس. إذ إنَّ البورنـو، وحيـن يصيـر عمليـةً... حيـن يصيـر تَبورُنًـا، يـؤدي إلـى تلـك المُـواراة.

وبهـذا، يتّضـح أن مراءاتـه للجنـس، وحيـن يُحقِّـق كمالـه، يسـتقرّ علـى المـواراة، علـى مزاولـة الآداب. مثلمـا أن المـواراة، وحيـن تحقـق اكتمالهـا، تحمـل الـى المـراءاة.

معادلـة التـأدب والتبـورن: تمـام مـراءاة الجنـس موارتـه، وتمـام موارتـه مراءتـه.

[٣] مــرآى الواحد

تُفيـد معادلـةُ التَّـبورُن - التـأدب بـأن مـواراة الجنـس ، وتمامًـا، كمراءاتـه ، ينطلـق مـن ذات المبـدأ. ربمـا، قد يصحّ القـول إن المـواراة هـي التـي تَصُـوغُ هـذا المبـدأ، يُرسِّـخه، قبـل أن يتيـح للمـراءاة أن تسـتكملَه: «الواحـد يَنعَمِـل».

مـواراة الجنـس ترتكـز علـى هـذا المبـدأ، يشـير إلـى أن «الواحـد ينعمـل»، لكنـه، وفـي الوقـت نفسـه، لا يُحقـق مَـرآى لـه، إنمـا، وعلـى العكـس، يتركـه مـن دونـه. بهـذا، يجعـل مـن «عمـلان الواحـد» عمـلًا دائـرًا فـي نـوع مـن الدّهمَـة، أو بعبـارة واحـدة، يجعلـه «عملانًـا» لامَرئِــيًّا.

علـى هـذا النحـو، لامَـرآى الواحـد يكـون وفـي نتيجـة المـواراة ، دليـلًا علـى كونـه «ينعمـل»، وهـو يسـتمدُّ إدلالَـه مـن كونـه شـكلًا مـن أشـكال الصفـر. اللَّامـرآى، وباعتبـاره هـذا الشـكل، يُبـدي أن «الواحـد انعمـل»، لكـن، الصفـر قـد سـحَبه. تصيـر هـذه الصيغـة: «الواحـد ينعمـل» وهـا هـو

فــي الصفــر، أو أن الصفــر ينطــوي علــى «الواحــد»، إلا أن مــن المُحــال رؤيتــه.

نافـل القـول إنَّ صيغـةَ اللَّامـرآى هـذ تمهـد السـبيل الـى المـراءاة ، بمـا هـو عمليـة لتوفيـر المـرآى للـ«واحـد»، أي لأخـذه مـن الصفـر الـذي سـحبه، وبالتالـي وضـع حـدٍّ لكـون رؤيتـه ليسـت ممكنـة. المـرآى، فـي هـذا السـياق، بمثابـة نفـي لانعـدام الإمـكان هـذا: ليسـت ممكنـة رؤيـة الواحـد بعـد «عملانـه»، وسـحب الصفـر لـه.

اللامــرآى: «الواحــد منعمــل»، لكنــه، فــي الصفــر، رؤيتــه ليسـت ممكنـة، وانعـدام إمكانهـا ينتجـه سـحب الصفـر لـه.

المـرآى: «الواحـد مُنْعَمِـلٌ»، لكنـه، فـي الصفـر، ومـع هـذا، متــاح هــو نفــي كــون رؤيتــه ليســت ممكنــة، أي جعلهــا ســانحة بأخـذه مـن الـذي سـحبه.

الـلَّا ـ مـرآى: الواحـد فـي الصفـر. المـرآى: أخـذُ الواحـد مـن الصفر.

[٤] مِصورة

إستفهام: هل يصنع التَّـبورُنُ مرآى الواحد؟

مــن الممكــن القــول إنــه يصنــع مَــرآه علــى ســبيل لا- مَــرآه. ففـي صِناعتـه صنـدوق الجنـس مـن دون أن يضعـه

فيـه، إنمـا يُبقيـه إشـارةً عليـه، يجعلـه علـى مَـرآى، ولكـن، وبالفعـل نفسـه، مـن دونـه. يصيـر للجنـس، فـي سـياق التصنيـع هنـا، مَـرآى، ضئيـل طبعًـا، إلا أنَّ ضآلتـه مرتبطـةٌ بكونـه مُصوَّبًـا نحـو لا-مَـرآه.

فالتَّــبورُن، الـذي تعتمِـدُه مؤسسـة الإعـلام، هـو مـراءاة للجنـس علـى سـبيل مواراتـه ، توفيـر مَـرآى للجنـس علـى سـبيل لا-مَـرآه. وبهـذا، يـؤدي التَّـبورُن إلـى تكويـن مجموعٍ تمثيلـي مُحـدَّدٍ للجنـس، مجمـوعٍ يقـوم بوضـع المَـرآى فـي نحـو اللا-مـرآى: المِصـورة.

بدايـةً، تتشـكل بالإخبـار عـن الجنـس، وهـذا الإخبـار بمثابـة عَنونَـةٍ بـه دون التوسـيع فيـه. كمـا أنهـا، ومـنِ اسـمها، هـي تتشـكل كمجمـوعٍ صُـوري، ولكـن، هـذا لا يعنـي أنهـا مَألـفةٌ بصريـةٌ فحسـب، بـل مقـروءة أيضًـا. غيـر أنَّ إحالتهـا إلـى الصـورة مـردُّه أنَّ مجموعهـا، أكان بصريًّـا أو مقـروءًا، «يُصـوِّر» الجنـس، ليـس بمعنـى أنـه يُمَثّلُـه فقـط، إنمـا وأيضًـا يُمَثّلُـه فـي إمالتـه مـن المـراءاة الـى المـواراة ، فـي جعلـه مقبـلًا علـى هـذه المـواراة ، كمـا يُمَثّلُـه ـ وهنـا يكتمـل معنـى الصـورة بوصفهـا صلـةً بيـن التَّـبورن والتأدب ـ فـي قَطعـه.

فالمِصـورة هـي التـي تقطـع الجنـس مـن مَـرآه، وتـردُّه إلـى لا ـ مـرآه، وفـي أثنـاء ذلـك، تفيـد بأنـه كان هنـا، فـي هـذا النبـأ أو ذاك، قبـل أن يتـوارى، مـا يحمـل علـى الانطـلاق

منهـا للبحــث عنــه. بهــذا، قــد يصــحّ تعريــف المِصــورة بكونهــا مجمــوع العلامات/الصــور التــي تُســجِّل «عمَــلان الواحــد» قبــل أن يَســحبَه الصفــر. وبالتالــي، هــي مســتــندٌ يحــضُّ علــى أخــذ الواحــد مــن الصفــر، ولكــن، وبمــا أنَّ المَــرآى فيهــا مصــوبٌ نحــو اللا-مــرآى، فــلا يؤكــد أن هــذا الأخــذ ممكــن أو مُحــال، إنمــا صعــب.

المِصــورة بمــا هــي وضــعُ المَــرآى علــى ســبيل اللا-مــرآى، إتمــام المــرآى باللا-مــرآى: «الواحــد يَنعَمِــل»، الصِّفر سحَبه، أخــذُه منــه عســير.

[٥] البـورنـو

ليــس البورنــو ســوى استِكمالٍ للمِصــورة، أو بالأحرى تمسّــكًا بالمَــرآى الــذي تصنعُــه للـ«الواحــد»، للجنــس. إذ إنــه يَعمِــد إلــى أخــذ هــذا «الواحــد» مــن الصفــر بالطريقــة نفســها، أيِ التصويــر، الــذي، وفــي ســياقه، يتعــدى معنــى الإمالــة أو القطــع إلــى كونــه معنــى الاعتِــراء البدنــيِّ مثلمــا يتعــداه إلــى معنى التــقاط هــذا الاعتــراء.

فيُقــدِّم البورنــو مَــرآى «الواحــد» علــى أســاس أنــه ليــس ســوى الاحتــكاك: الجمــاع. يوقــف التصويــر علــى هــذا الجمــاع، ويمضــي إلــى تشــييد مَــرآه كأنــه هــو «الواحــد»، الــذي يواظــب علــى أخــذه مــن الصفــر.

لــمَرآى البورنــو سِــمةٌ أوّليــة، وهــي الوُســع، بحيــث إنــه مـرآى مُتمـدِّد، ومُنبــسِط، وهـذا، لأنّـه يتعلـق بكونـه يقـوم للحيلولـة دون مـواراة «الواحـد» بعـد أخـذه مـن الصفـر. ولكــنَّ وُســع المــرآى لا يحميــه مــن هــذه المــواراة، إنمــا، وفعليًّــا، يحملُــه إليــه، إذ إنــه، وفــي دوَرانــه... فــي تصويــره «الواحـد»، يبـدو أنـه يُفــتش عنـه.

علـى هـذا المنـوال، مـن الممكـن الإشـارة إلـى تشـريحِيَّة البورنـو، أي إظهـاره «الواحـد»، بمـا هـو احتـكاك، بمـا هـو جمـاع، بالكثيـر مـن الدقـة، وبالكثيـر مـن التفصيـل. ففـي حيـن أنـه يرائيـه... فـي حيـن أنـه يَصنـع مـرآه الواسـع، يبدو أنـه يبحـث عنـه، ولأنـه يُسـهب فـي ذلـك، فهـو يَمضـي إليـه داخـل مـرآه، لكنـه، لا يجـده. البورنـو يشـرح الجمـاع علـى أسـاس أنـه «الواحـد»، ولكـنْ، وبـتَشريحه هـذا، يُبـدي أنـه يُفتِّـش عنـه، كأنـه كلمـا جعلـه مرئيًـا، يتـوارى، فيسـهب فـي جعلـه كذلـك، حتـى لا يتـوارى، لكـنَّ إسـهابَه دليـلٌ علـى كونـه متوارِيًـا سـلفًا.

بهــذه الطريقــة، المــرآى، الــذي ينطلــق مــن المِصــورة، ويستكـــملُه البورنــو، يبــدو أنــه، وبتقديمــه لموضوعــه، لـ«الواحـد»، يؤكـد أن هـذا «الواحـد» ليـس فيـه، بـل إنـه لا يـزال مـن دونـه. وبهـذه الطريقـة أيضًـا، قـد يصـحُّ القـول إنَّ لا-مــرآى «الواحـد» يُسـجِّل وضعـه فـي مَـرآه، أو يُسـجِّل خلاصـة هـذا الوضـع، وهـي أنـه ليـس داخلـه، بـل، وكلمـا

قدّمـه البورنـو علـى كونـه كذلـك، يُواريـه منـه. البورنـو، وفـي مُحصِّلتـه، يـواري الجنـس، يُوصِلُـه إلـى لا-مَـرآه، ومِـن لا-مَـرآه هـذا، ينطلـق تشـييد مَـرآه مـن جديـد.

[٦] تـصـمـيـم

مـن الممكـن أن نُحـدِّد تصميمًـا لـ«الواحـد» عطفًـا علـى المِصـورة والبورنـو:

- هو، في لا ـ مَرآه، مقبوض عليه من قِبَلِ الصفر.

- التَّـبورُن، الـذي يصنـع المِصـورة، يحاول سـحب «الواحد» مـن الصفـر، بهـذه المحاولـة، يُنتِـج لـه مَـرآى، لكنـه، ينتهـي إلـى عكسـه، يعـود إلى لا ـ مـرآه.

- البورنـو، ينطلـق مـن هـذا المَـرآى، الـذي أنتجـه التَّـبورُن، يُوقِــفُه، مسـتكملًا معنــى الصـورة، علــى المطابقــة بيــن «الواحـد» والجمـاع، مثلمـا أنـه يُبسـطه.

- علـى الرغـم من بَسـط مَـرآى «الواحـد»... من تمـدُّده، إلا أنـه، وفـي إثـر هـذا، يبـدو أنـه لا يحتويـه، فـلا يـدور حولـه، إنمـا، وعلــى العكـس، حـول كونــه ليـس فيـه، وبالتالـي، يـدور حول لا-مـرآه.

- لا-مــرآى «الواحـد» هـو تسـجيلٌ لخلاصـة مَـرآه، وهـي أنـه ليـس موجـودًا فيـه.

[٧] هـذا هـو «الواحـد»

فـي حـال السـعي إلـى إرفـاق هـذا التصميـم بنتفـة تخيليـة مـن حكاياتـه لبنانيًـا، لا يمكـن سـوى الوقـوف بدايـةً علـى تغيـر فيـه: يتشـكل مـن اللا-مـرآى، مـن التبـورن، لكنـه، لا يخلـص إلـى البورنـو، الـذي يذهـب بالمـرآى إلـى عقبـه. بالتالـي، يتأرجـح التصميـم بيـن كـون «الواحـد» لا-مرئـي، وبيـن التبـورن، الـذي يجـد وجهتـه، أي مؤسسـة البورنـو، فـي خـارج رجائـه، فـي خـارج المحلـة، وهـذا، مـا يضاعفـه. فـ«الواحـد» إمـا يبقـى بـلا مـرآى، أو يحظـى بـه فـي المِصـورة، التـي تعيـده مـن دونـه.

فعليًـا، التصميـم هـذا، وعنـد الإشـارة اليـه فـي سـياقه اللبنانـي، فهـو لـم يفـضِ الـى المصـورة، إنمـا الـى هيئـة بعينهـا، لا تمـتّ بصلـة إليهـا بمـا هـي مـن صنيعـة التبـورن، إنمـا تتعلـق بشـيء مختلـف. هـذه الهيئـة هـي البيـان. قليـلًا مـن التكـرار: المصـورة، التـي ينتجهـا التبـورن، تقـوم بافتـراض أن عمـلان «الواحـد» يلحقـه سـحبه مـن قبـل الصفـر، لـذا، تعمـد إلـى أخـذه منـه. علـى أن ذاك البيـان لا يقـوم بالافتـراض عينـه، بـل بكـون مـراءاة «عمـلان الواحـد»، وهـذا، قبـل أن «يسـحبه» الصفـر، هـي فعـل متـاح. فـإذا كانـت مـراءاة التبورن هـي أخـذ للـ«الواحد»، فمـراءاة البيان هـي «الواحـد»، هـو «عملانـه»، السـابق علـى سـحب الصفر لـه. لا تسـتعيد مراءاتـه بعـد انتهـاء «عملانـه»، بعـد مواراته،

لا تقدمه كالمِصورة، إنما ترائيه في أثناء «عملانه»:«هذا هو»!

بالطبع، وإن كان علاقة البيان هذا بمصورة التبورن تستوي على أنها بمثابة انفصال الاول عن طريقة إنتاج «الواحد» التي تعتمدها الثانية، غير أن علاقة البيان بالبورنو هي علاقة اتصال من ناحية أنهما يوقفان «الواحد» على الجماع. على هذا الأساس، يخلص البيان ذاك إلى تقديم الجماع على أنه هو «الواحد»، بحيث يعمد الى مراءاة «عملانه»، لكنه، وفي الوقت نفسه، لا يتطابق مع البورنو من ناحية معنى آلة المراءاة هذه. البورنو يقوم بتأدية «عملان الواحد»، بما هو جماع، كأنه يستحضره، أما، البيان فلا يقوم بتأدية «العملان» إياه لاسترجاعه، إنما لإحضاره في وقته مباشرةً.
التأدية البورنوغرافية تنطلق من كون «الواحد» كان هنا، وقد «انعمل» هكذا، لكنه، توارى، بالتالي، هي آلة لاستحضاره، الذي قد يطول، ويتمدّد، لكيلا يرتطم بكون «الواحد» ليس فيه. أما، البيان، فيرائي الجماع على أساس أنه «الواحد» في حين «عملانه»، وبهذا، تمثيله مطابق لحضوره، ولا يمكن التمييز بينهما: «الواحد هو هنا، في مرآه». ما هو هذا البيان؟

نظامٌ على حُطام

[١]   «**فضيحة**»

فـي منتصـف تسـعينيات القـرن المنصـرم، ذاع الخبـر التالي: ألقـت القـوى الأمنيـة قبضهـا علـى عدد مـن نجـوم ونجمات الغنـاء والأزيـاء الشـباب فـي منـزل مـن المنـازل، وهـذا، بعـد الاشـتباه بكونهـم ينظّمـون حفلـة جمـاع.

قـدّم الإعـلام، ولا سـيما عبـر الإشـاعة، هـذا الخبـر علـى أسـاس أنـه «فضيحـة»، وبهـذا، جعلـه ينـدرج فـي سـياقٍ بعينـه، وهـو سـياق إنتاجـه لصـورة الاجتمـاع المحطـم. فقـد كان هـذا الاجتمـاع فـي مقابلـه كمـا لـو أنـه مقابـل مرآتـه التـي تمـده بصـورة عنـه، وعلـى أساسـها، يمضـي الـى التعـرّف علـى ذاتـه فـي نظـام السـلم.

فـي إثـر سـردية الـ«فضيحـة»، كانـت هـذه الصـورة تفيـد بكـون الاجتمـاع هـو «مجتمـع تقليـدي»، بحيـث إنّ النجـوم الشـباب هـؤلاء قـد «هتكـوا عاداتـه وتقاليـده»، وبالفعـل نفسـه، «أخلـوا بآدابـه العامـة». ولكـن، «هتكهـم»

و«إخلالهـم» بـه لا يمكـن أن يحصـل مـن دون أيّ مغبّـة، بـل إنـه يـؤدي الـى توقيفهـم. فالدولـة، ومـن خـلال أمنهـا، تحمــي ذاك «المجتمــع» منهــم، وتصــون اســتقراره. مــن هنــا، وبالســردية إياهــا، تشــكل الاجتمــاع كـ«مجتمــع»، والدولـة غـدت قويّـة، أمـا، النجـوم والنجمـات الشـباب، فكانـوا موضـوع إدانـة واسـتياء، تمامًـا، كمـا كان جماعهـم موضــوع تعييــب وتعييــر.

[٢] «تــحــرُّر»

وفـي حيـن دوران سـردية «الفضيحـة»، انتشـر ظـنٌّ بكـون النجــوم والنجمــات الشــباب قــد تجــاوزوا «مجتمعهــم»، ســلطته، معاييرهــا، مــن خــلال جماعهــم. ولكــن، هــذا لا يعنــي أن فعلهــم «فضيحــة»، إنمــا ضــرب مــن «التحــرر». إذ إنهــم «تحــرّروا» مــن «المجتمــع»، ولهــذا، لا بــد مــن «تقّبلهــم» بوصفهــم فتحــوا كــوة فــي «انغلاقــه».

علـى أن ظـن «التحـرر»، ومـع أنـه لا يخلـص إلـى حصيلـة «الفضيحــة»، هــو يســتند إلــى منطلقهــا، أي صــورة «المجتمـع التقليـدي»، لكـي يسـتحصل علـى معنـاه. بهـذا، وحيـن يقـدّم ذاك الظـن «تحـرره» علـى أسـاس أنـه «تحرر» مــن «المجتمــع التقليــدي»، يؤكــد وجــود الصــورة تلــك، التــي ســرعان مــا يجــد مطرحًــا فيهــا، بحيــث يتصــل منــه بمــا يحــدده كـ«ســلطة» داخلهــا. الصلــة هــذه تقــوم بــأن

يغـدو «التحـرر» ظرفًـا، ليـس فقـط للتأكيـد علـى وجـود الصـورة، علـى وجـود موضوعهـا، أي «المجتمـع» ذاك، إنمـا، وأيضًـا، لشـدّها، لتوطيدهـا. علـى هـذا النحـو، كلّمـا صـارت الصـورة تحتـاج إلـى هـذا التوطيـد، يحققـه «التحـرر» لهـا، ومـا الحاجـة هـذه سـوى حاجـة «سـلطتها».

فـ«السـلطة»، التـي ترتفـع فـي هـذه الصـورة، هـي فعليًـا تعلـو الحطـام، حطامهـا علـى وجـه الدقـة، وهـي إن كانـت، فـي هـذا السـياق، سـلطة العائلـة البرجوازيـة، فبعـد الحـرب، كانـت لا تحكـم سـوى أولادهـا، مـن دون أن تنجـح فـي تشـكلّها كمثـال أعلـى، بحيـث بقيـت مثـالًا سـاقطًا. بالتالـي، كانـت، ومـن حطامهـا، تحتـاج إلـى إحيـاء تصورهـا عـن ذاتهـا، وفـي هـذه الجهـة، حملـت أولادهـا علـى تحقيـق تلـك الحاجـة مـن خـلال ارتكازهـم علـى ظـن «التحـرّر»، الـذي يقوّيهـا. تقويتهـا؟ بالإشـارة إلـى كونـه، وكـ«تحـرر»، بمثابـة «تجـاوز للمجتمـع التقليـدي»، أي لهـا، وفـي النتيجـة، إشـارة إلـى كونهـا لا تـزال مثـالًا شـغالًا. علـى هـذا النحـو، لا يكـون «التحـرر» سـوى سـبيل إلـى توطيـد لصـورة مـن أجـل نفـخ الحيـاة فـي سـلطة ميتـة، تأخـذ علـى عاتقهـا، وكامتـداد للدولـة، حراسـتها.

[٣] نمطان

علـى أن «الفضيحـة»، قـد بقيـت، وكـ«التحـرر»، بـلا أي أثـر بصـريّ. فبالتـوازي مـع أنّ الإعـلام يُسـكِن الاجتمـاع فـي «المجتمـع»، ويقـدم الدولـة كحارسـة لـه، كانـت الاشـاعة تواظـب علـى الاشـتغال. وهـذا، فـي سبيل التأكيـد علـى أنّ النجـوم والنجمـات الشـباب لـم يزاولـوا الجمـاع فحسـب، لا بـل إنهـم، وأيضًـا، قـد عمـدوا الـى تصويـره. وحيـن تعمـد الإشـاعة الـى تطويـل السـبيل ذاك، تحولهـم الـى شـبكة دعـارة، تبحـث عـن إخـراج أفـلام إباحيّـة. إلّا أنّ كل هبـوب الاشـاعة هنـا لـم يترافـق مـع الأثـر البصـريّ إيـاه، فالـ«فضيحـة» استوت علـى كونهـا مـن دونـه، وبهـذا بالتحديـد، حققـت كلّ عملهـا.

فقـد بـدا لا-أثـر الجمـاع الـذي زاولـه النجـوم والنجمـات الشـباب كأنّـه يصـوب «المجتمـع التقليـديّ» نحوهـم. وتصويبهـم لـه يعنـي بدايـةً أنـه يجعـل هـذا «المجتمـع» يرمـي اليـه، وهـذا، مـن أجـل أمـر محـدّد، وهـو التفـرّج عليـه. إذ إن التفـرّج، فـي هـذه الناحيـة، يعيـن الاجتمـاع علـى تركيـز صورتـه. بواسـطته، يسـتمتع بأثـر الجمـاع الـى درجـة الانتهـاء منـه، فيرسّـخ عندهـا «تقليديّتـه». وبهـذا، يتقـدّم كمحـروس مـن قبـل الدولـة، وفـي الوقـت نفسـه، يـردّ الصـورة التـي عكسـها الإعـلام لـه، تمامًـا، كمـا لـو أنـه هـي. فبإقدامـه علـى تفرجـه كامـلاً، مـن الاسـتمتاع حتـى

الإنتهـاء، يكـرس نظامهمـا، ويقيـم فيـه.

وفــي المطــاف عينــه، يســنح التفــرج للـ«المجتمــع» أن ينفــي حطامــه أيضًــا، بحيــث يبقيــه خــارج صورتــه علــى أســاس أنــه ليــس موجــودًا البتــة، أو فــي طريقــه الــى الــزوال. فعليًّــا، يمكــن القــول إن الحطــام، بمــا هــو مــن مخلّفــات الحــرب، قــد رُبِــطَ بأثــر الجمــاع، بحيــث إنّ التفــرّج المجتمعــي علــى الثانــي يــؤدي، وفــي مآلــه، الــى التخلّــص مــن الأول.

ولتصويــب «المجتمــع التقليــدي» نحــو النجــوم والنجمــات الشــباب معنًــى ثــانٍ، لا يتعلّــق بنمــط ـ مراقبتــه، أي التفــرج كســبيل الــى تكريــس صورتــه، إنمــا، بنمط-ترقبــه لأثــر جماعهــم. فحيــن يترقــب «المجتمــع» مــن هــؤلاء هــذا الأثــر، يصيــر ملاحقًــا لهــم، متحينًــا أن يقدمونــه لــه. كلمــا ترقّــب هــذا «المجتمــع» يصيــر «جمهورهــم»، الــذي يتابــع أخبارهــم، ويتلقّــى مشــاهدهم، وفيهــا، يرمــي الــى الأثــر إيــاه. نمــط ترقبــه هــو التجمهــر، الــذي يحيــل، بالطبــع، الــى التفــرج، إذ إنــه بمثابــة مقدمتــه، أو بالأحــرى يقــوم بــه. فالـ«المجتمــع»، ومــا إن ينطلــق فــي ترقبــه، أي تجمهــره، حتــى يبــدأ بمراقبــة النجــوم والنجمــات، أي التفــرج عليهــم، مبتغيًــا الأثــر منهــم. وهــو حيــن يســتحصل علــى هــذا الأثــر، يختــم تجمهــره، وحيــن يســتمتع بــه حتــى ملاشــاته، يتمّــم تفرّجــه.

بالإضافـة الـى المعنييـن السـابقين، ثمـة معنـى ثالـث لتصويـب «المجتمـع» نحـو النجـوم والنجمـات، وهـو جعلـه مقابـل مجتمـع نقيـض: «المجتمـع التقليـدي» ضـد «مجتمـع النجـوم». الصلـة بينهمـا، وبالارتـكاز علـى تقابلهمـا، مـن الممكـن تلخيصهـا بـأن الأول يجـد فـي الثانـي ضـده، بمـا هـو رجـاء الرذائـل، كمـا أن الثانـي، يجـد فـي الأول أنـه معاكسـه أيضًـا، بمـا هـو رجـاء توقيفـه. إلا أن، وفـي قلـب تلـك الصلـة، علاقـة أخـرى. وهـي، فـي الواقـع، أقـرب إلـى أن تكـون لعبـة حـول الأثـر ذاتـه، أي- ولتسـميته بطريقـة أخـرى - حـول «الواحـد»، أو بالأحـرى مـرآه: لعبـة المجاذبـة.

[٤] لـعـبة المُـجاذَبة

تفيـد هـذه اللعبـة بكـون «المجتمـع التقليـدي» يجـد أن «مجتمـع النجـوم» يملـك «الواحـد»، أو «يعملـه»، بحيـث يبغيـه فـي مـرآه منـه مـن أجـل إتمامـه التفـرج عليـه، وهـذا، بالتحديـد، مـن دون أن يعلـن ذلـك. إلّا أن «مجتمـع النجـوم»، ومـن جهتـه، وهنـا مطلـع اللعبـة، ينفـي كونـه يمتلـك «الواحـد»، أو «يعملـه». علـى العكـس، ومـا إن يطـلّ مقابـل «المجتمـع التقليـدي» حتـى يبـدو أنـه علـى عكـس ممـا يحسـبه: بـدل حفلـة الجمـاع التـي لا أثـر لهـا، هنـاك حفلـة طـرب وغنـاء ورقـص فـي اسـتديو تلفزيونـي مغلـق.

بالتالـي، «مجتمـع النجـوم» معلـوم أينـه، بالإضافـة إلـى أنـه معلـوم دوره، أي الترويـح عـن نفـس «المجتمـع التقليـدي» مـن دون ألا يلتـزم بـ«عاداتـه وتقاليـده» ويتعـدّى قيمـه.

ولكـن، وفـي حيـن أن هـذه اللعبـة تشـتغل علـى هـذا النحـو، ففـي الوقـت ذاتـه، هـي تشـتغل بيـن طرفيهـا فـي نحـو مختلـف أيضًـا: يـدرك «مجتمـع النجـوم» أن «المجتمع التقليـدي» يبغـي «الواحـد» منـه، لـذا، يتقـدّم منـه، ولكـي يجذبـه صوبـه، ويسـتمر فـي جذبـه هـذا، علـى أسـاس أنـه «يمتلـك الواحـد»، وسـيعطيه إيـاه، إلّا أنـه سـرعان مـا لا يفعـل ذلـك.

لقـد ذهبـت هيفـاء وهبـي فـي هـذا النحـو الـى حـد أخيـر، قبـل ان توقفـه عليـه: حـدّ تتأرجـح عليـه بيـن الكشـف للـ«المجتمـع التقليـدي» عـن «الواحـد» الـذي يريـده، وبين تركـه مـن دونـه. إذ تتقـدم إليـه، فيترقـب «الواحـد» منهـا، ومـا إن تبـدو أنهـا سـتحقق ذلـك، أي سـتعطيه «الواحـد»، حتـى تتراجـع. ربمـا، يصـح قـراءة عبـارة وهبـي «أروح وياك للآخـر أعـود ألقـاك ناسـيني» بالاسـتناد الـى ذاك النحـو: تمضـي وهبـي مـع «المجتمـع التقليـدي» إلـى «الآخـر»، لكنهـا تعـود وحدهـا لتلاقـي «المجتمـع» إيـاه قـد نسـيها، كمـا لـو أنهـا كانـت ذهبـت مـن دونـه. هـذا، مـا يحمـل علـى التسـاؤل عـن مـردّ كونهـا تذهـب معـه ثـم تعـود لتلاقيـه كأنـه فـي الأصـل لـم يرافقهـا، وكأنـه فـي الأسـاس

لا يعرفهـا.

فـي الواقـع، الجـواب يحمـل الـى وجهـة ذهابهمـا، الـى مقصـده، وهـو «الآخـر»، ولكـن، وبعطفـه علـى اللعبـة بينهمـا، لا يكـون هـذا «الآخـر» آخـرًا، إنمـا، علـى العكـس، يكـون «الواحـد»، فتصيـر اللازمـة: «أروح وايـاك للواحـد، أعـود ألقـاك ناسـيني». الذهـاب إلـى «الواحـد» هـو، وبحسـب اللعبـة دومًـا، لا يـؤدي اليـه، إنمـا يـؤدي الـى كـون وهبـي لا تكشـف عنـه، فتكـون علـى أول مراءاتـه، قبـل أن تتراجـع عنـه. تراجعهـا هـذا يعنـي «عودتهـا» إلـى «المجتمـع»، الـذي، وفـي هـذه اللحظـة بالـذات، «ينسـاها»، ونسـيانه هـذا بمثابـة اعتـراض مـن قبلـه علـى كونهـا «عـادت» مـن دون «الواحـد». علـى هـذا المنـوال، تعـاود «الـرواح» معـه «للواحـد»، أمـا، هـو فيعـاود التفـرج عليهـا، قبـل أن ترجـع فـ«ينسـاها» مـن جديـد. إنهـا لُعبـةٌ بمعـاودةٍ تبقـي طرفيهـا فـي مطرحهمـا.

[٥] تعطيل

علـى أن هـذه المعـاودة قـد تتعـرض لمـا يشـبه توقيفهـا، أو بالأحـرى انتهائهـا. هـذا، مـا أفضـى اليـه الفيديـو، الـذي انتشـر العـام ٢٠٠٥، والـذي ظهـر فيـه امـرأة ورجـل فـي اثنـاء جماعهمـا، وقـد قيـل حينهـا إنـه يعـود لهيفـاء وهبـي وعشـيقها. فقـد بـدا هـذا الفيديـو أنـه بمثابـة كسـرٍ للّعبـة

بيـن «مجتمـع النجـوم» و«المجتمـع التقليـدي»، بحيـث إن وهبـي، التـي تنـوب عـن الأول، قـد أعطـت الثانـي، بمـا هـو جمهـور مـن المتفرجيـن، «الواحـد». وعلـى هـذا النحـو، لـم تذهـب مـع «المجتمـع» إلـى «الواحـد» لتعـود وتجـده علـى «نسـيان» لهـا، كمـا لـو أنـه، فـي الأسـاس، لـم يرافقهـا، إنمـا أنهـا ذهبـت معـه إلـى «الواحـد»، ومدتـه بـه. وصلـت وإيـاه إلـى المقصـد، وبالتالـي، ختمـت اللعبـة، ومعاودتهـا.

إلا أن اللعبـة، ومـا إن بـدت أنهـا وصلـت الـى عقبهـا، حتـى أنتجـت مـا يرجعهـا إلـى مطلعهـا، أي التسـاؤل حـول إن كانـت وهبـي نفسـها التـي فـي الفيديـو أم لا. بالطبـع، لـم يُحسـم هـذا التسـاؤل، بـل بقيـت الإجابـة عليـه تتأرجـح بيـن «نعـم، هـي وهبـي»، و«لا، ليسـت وهبـي». ولكـن، وفـي الحالتيـن، كانـت وهبـي ولـم تكـن فـي الفيديـو، وبالتالـي، لعبـة مجاذبتهـا انتهـت ولـم تنتـهِ، علـى عكـسٍ، انتهـت لكيـلا تنتهـي.

فعلـى أسـاس الابهـام الـذي طبـع هـذا الفيديـو، بـدا أن لعبة «مجتمـع النجـوم» مـع «المجتمـع التقليـدي» قـد انتقلـت إلـى مرحلـة أخـرى، بـدا الأول خلالهـا أنـه مـا عـاد يعـد الثانـي بإعطائـه «الواحـد» مـن دون أن يفعـل ذلـك، علـى العكـس، هـو يحقـق مـا وعـده بـه، ولكـن، مـن دون أن يجعلـه قـادرًا علـى الحسـم إن كان قـد أعطـاه إيـاه منـه أم لا. قـوة الإبهـام تُتيـح لـ«مجتمـع النجوم» أن يضمـن مواصلة

جـذب «المجتمـع التقليـدي» صوبـه، بحيـث إنـه يسـتمر في مراقبتـه لـه لكـي يبـتّ فـي كونـه قـد أعطـاه «الواحـد» منـه، وبهـذا البـتّ، ومعـه إتمـام التفـرج، يركّـزه كنقيضـه. ولكـن، وكلمـا واصـل «المجتمـع» مراقبتـه «النجـوم»، كان يبتعـد أكثـر فأكثـر عـن الحسـم، وبفعـل هـذا، كان لا بـد لـه مـن فعـل مختلـف.

[٦] النّجمة و«المَجنون»

في العـام ٢٠٠٨، انتشـر فيديـو، تظهـر فيـه النجمـة نانـا مـع شـاب يدعـى خليـل خـلال جماعهمـا، الـذي تسـجلّه رفيقـة لهمـا عبـر كاميرتهـا.

لقـد بـدا «المجتمـع التقليـدي» فـي هـذا الفيديـو أنـه وجـد طريقـه الـى حسـمٍ كـون «مجتمـع النجـوم» يملـك «الواحـد»، وبالتالـي، يسـتطيع الاسـتحصال عليـه. وهـذه الطريـق تلزمـه بـأن يمضـي هـو الـى «عمـلان الواحـد» معـه، وعلـى هـذا النحـو، لا يعـود متفرجًـا، إنمـا يذهـب بتفرّجـه الـى حـدٍ، يقلبـه الـى تمثيـل. هـذا التمثيـل يفيـد بـأن «يعمـل المجتمـع التقليـدي واحـدًا» مـع «مجتمـع النجـوم»، ليكـون فعلـه هـذا بمثابـة تأكيـد علـى أنّـه يملـك «الواحـد» إيـاه. التأكيـد هـذا يـؤدي الـى انهـاء لعبـة المجاذبـة بيـن «المجتمعيـن»، وفـي إثـر ذلـك، يتحـولان: لا يعـود «مجتمـع النجـوم» محتكـرًا للمعـان، إذ إن «المجتمع

التقليـدي» يسـتحوذ علـى قسـطه منـه.

فقـد صـرح خليـل أنـه أحـب مضاجعـة النجمـة، وهـذا، لسـبب بسـيط، وهـو أنهـا نجمـة. فـ«عمـلان الواحـد» بيـن «المجتمـع التقليـدي» و«مجتمـع النجـوم» يفضـي الـى أن يصيـر الأول مـن الثانـي، أي ينخـرط فيـه. وعلـى هـذا المنـوال، ينـم عـن هـذا الانخـراط ترحيـب لـ«مجتمـع النجـوم» لكـي يتسـع للـ«الـكل»، الـذي كانـت نانـا قـد غنتـه قائلـةً «كلهـم بدهـم نانـا». ضـرب مـن دِيْمَقرطـة، بمـا هـي توزيـع لسـلطة النجوميـة علـى «الـكل»، حيـث أن الجميـع فـي هـذا «الـكل» يمتلـك الـ«الواحـد»، والجميع فيـه «يعملـه». وبعبـارة أخـرى، يصيـر «الـكل» فـي الفيديـو: «المجتمعـان» بالإضافـة الـى مصورتـه التـي، وفـي لحظـة مـا، تديـر كاميرتهـا صوبهـا، وتلتقـط وجههـا، فتدخـل بدورهـا فـي «العمـلان» الـذي تسـجله.

علـى أن إنهـاء اللعبـة، وإن كان الفيديـو يحققـه، ولكـن، الإعـلام الـذي يحرسـها لا يبغيـه. وهـذا، ليـس لأن نهايتهـا تزيـل التناقـض والتقابـل بيـن طرفيهـا فحسـب، بـل لأنهـا، وأيضًـا، لا تـؤدي بالاجتمـاع الـى رد صورتـه كـ«مجتمـع تقليـدي» الـى مـرآة الاعـلام ذاك، وفـي أثنـاء رده، يكـرس الدولـة. كمـا لأن هـذا «المجتمـع»، وفـي إِثرهـا، لا يعـود علـى ترقبـه ومراقبتـه اللذيـن يضمنـان «مجتمـع النجـوم» فوقـه، بحيـث إن إنهـاء اللعبـة هـو بمثابـة اضمحـلال

التجمهـر، ومعـه التفـرج طبعًـا.

بالتالـي، أسـرع «مجتمـع النجـوم»، شـاخصًا هنـا بنانـا، إلـى نفـي أنـه فـي الفيديـو، وهـذا، مـع أن عكـس ذلـك جلـي للغايـة. أمّـا، «المجتمـع التقليـدي»، الـذي يشـخص بخليـل، فبعـد أن تمسـك بكونـه هـو الـذي فـي الفيديـو، وبهـذا، لـم يتراجـع عـن إنهـاء اللعبـة، عمـد الـى تخفيـف تمسّـكه ذاك بالتأكيـد علـى كونـه خائـف مـن الدولـة، مـن قوتهـا. ومـن أجـل جعـل تخفيفـه بمثابـة إلغـاء لكونـه فـي الفيديـو، اسـتُدْعيّ «الطـب النفسـي»، يعنـي المـروّض فـي الإعـلام، وسـاكن اسـتديوهاته تحديـدًا، لكـي يجعـل مـن خليـل «مجنونًـا».

لقـد انتهـت اللعبـة بفيديـو نانـا وخليـل، ولكـن، سـرعان مـا أقـدم الاعـلام إلـى لجـم نهايتهـا: صـرف نانـا مـن الفيديـو، وبالتالـي، رجّـع «مجتمـع النجـوم» الـى خانـة المبهـم فـي امتلاكـه «الواحـد»، كمـا ركـز الدولـة بوصفهـا قويـة. وبيـن الفعليـن، أنتـج «مجنونًـا»، لكـي يعيـد «المجتمـع» ترسـيخ «تقليديتـه» بذمـه أو إدانتـه. بهـذا، ترممـت اللعبـة لكـي تعـود عـن انتهائهـا، ولكـن، فـي عودتهـا هـذه، لـم تعـد مثلمـا كانـت.

[٧] ترميم متعثّر

هـذا مـا أشـارت اليـه نجمـة تدعـى منـار حيـن قالـت إنـه انتشـر لهـا فيديـو جنسـي، ودعـت «المجتمـع التقليـدي»

الـى ترقبـه، لا سـيما بعـد انتشـار صورتيـن منـه. بالتالـي، صـار «عمـلان الواحـد»، أو تقديـم مـرآه، بمثابـة سـبيل الـى «النجوميـة». وهـذا، بعـد أن كانـت هـذه «النجوميـة» قـد اقترنـت، بدايـةً، بإبقـاء «العمـلان» مـن دون مـرآى مـع الإشـارة المبهمـة إلـى امتلاكـه، قبـل أن تقتـرن لاحقًـا بإعطائـه بطريقـة تسـتقر علـى صفـة الإشـارة نفسـها.

لقـد أخـذت اللعبـة هـذا الشـكل: «مجتمـع النجـوم» ينبـئ «المجتمـع التقليـدي» أنـه «يعمـل الواحـد»، أنـه يملكـه، فيطلــب منــه أن يترقــب إعطائــه لــه، أمــا، «المجتمــع التقليـدي»، فيغـدو، بـدوره، مجبـرًا علـى مراقبتـه الـى حيـن فعلـه ذلـك. يمضـي الـى التفـرّج عليـه، انتظـارًا «للواحـد»، لمــرآه منــه، وهــذا، لكــي يتمــم، ومــن الاســتمتاع حتــى الإنتهـاء، تفرجـه، فيركـز «تقليديتـه».

ولكـن، «مجتمـع النجـوم»، وعلـى الرغـم مـن نبئـه ذاك، لـم يعطيـه «الواحـد»، ولهـذا بالتحديـد، عمـد «المجتمـع التقليــدي» أوّليًــا الــى الانتهــاء مــن «مجتمــع النجــوم»، وهــذا، عبــر إنتــاج «نجومــه». وفــي ســياق هــذا الإنتــاج، ينـدرج انتقـال قسـم مـن مراقبيـه ومترقبيـه الـى وسـائط التواصــل الاجتماعــي، الــى فايســبوك تحديــدًا، موجهيــن ضربــة الــى الإعــلام، إلــى وســيطه الأعلــى، أي التلفزيــون، وإلــى حواشــيه، أي الصحيفــة والراديــو.

حـاول هـذا الإعـلام أن يعيـد ضبـط لعبـة المجاذبـة. لـذا،

سـعى إلـى تأليـب «المجتمـع التقليـدي» علـى «مجتمـع النجـوم» بإشـارته إلـى أن الثانـي يخـدع الأوّل، إلـى أنّ منـار تبحـث عـن الشـهرة مـن خـلال إثارتهـا موضـوع الفيديـو الجنسـي الـذي لا وجـود لـه. كمـا أن الإعـلام نفسـه سـعى الـى تأليـب «مجتمـع النجـوم» علـى «المجتمـع التقليـدي»، فحيـن انتشـر فيديـو، تظهـر فيـه النجمـة جويـس عبّـود مـع رفيـق لهـا، أشـار الإعـلام إلـى أنـه لـم يحـظ بانتبـاه أحـد، وهـذا، لأنهـا مغمـورة. كمـا لـو أنـه يتوجـه إلـى «مجتمـع النجـوم» مخبـرًا إيـاه أنـه حتـى لـو أعطـى «الواحـد» لـ«المجتمـع التقليـدي»، فلـن يـؤديَ ذلـك إلى ذيوعـه فيه.

بيـد أن «المجتمعـان» يعرفـان أن اللعبـة بينهمـا لا يمكـن أن تسـتأنف شـكلها القديـم. إذ إن شـكلها الجديـد عـدا عـن كونـه قـد أدى الـى جعـل «المجتمـع التقليـدي» ينتهـي مـن «مجتمـع النجـوم»، الـى جعلـه يشـرع فـي انتـاج «نجومه»، فقـد أدى الـى تبـدل فـي هـذا «المجتمـع» ذاتـه. فهـو، وحيـن انتظـر «الواحـد»، ولـم يعـط لـه، راح «يعملـه» مـن تلقائـه. وبيـن «عملانـه» وتفرّجـه عليـه، تفسـخت صورتـه كـ«تقليـدي»، لينجلـي منهـا وضعـه.

قبـل الوقـوف علـى هـذا الوضـع، لا بـد مـن طـرح اسـتفهام بعينـه: هـل «مجتمـع النجـوم» يملـك «الواحـد»، هـل «يعملـه»؟

[٨] إطلاقُ «الواحد» والردُّ عليه

لا يجد هذا الاستفهام جوابه مباشرةً في كون «الواحد» لا يمكن «عملانه»، وبالتالي، يكون هذا الجواب أن «النجوم لا يعملون واحد». بالطبع، لا ينقلب الجواب الى نقيضه المباشر أيضًا، بمعنى أنه يصير «النجوم يعملون واحد». بين الجوابين، بين مباشرة كل جواب منهما، ثمة ثالث: نعم هم «يعملونه»، وفي الوقت نفسه، لا. وبطريقة أخرى، «النجوم» ينفون انعدام الإمكان ذاك، ويذهبون بهذا النفي الى حد «عملان الواحد»، وليس أي «واحد»، إنما: «الواحد» المطلق.

يواظب «النجوم» بما هم من فاعلي الإعلام على تطبيق قانون المراءاة، وتشغيل نظامه، وعلى بسطه وترحيبه. بالتالي، «عملان الواحد» معهم من قبل أي أحد ليس منهم، هو، ومن ناحيتهم، مجرد ابتغاء للتماثل معهم، أي الانخراط في نظامهم ذاك، ليصير فيه. بهذا، يغدو غير «النجوم» بمثابة امتداد لهم، لذاتهم إلى درجة محوه فيها، فلا أغيار لهم سوى بالتطابق معهم، سوى هم. فحتى الغيرية، التي تقوم بمعاكسة الذاتية، بمثانأتها ، فهي، في ناحية «النجومية»، ممحية، لتكون مجرد استمرار لهذه الذاتية، لتكون تنويع عليها. إذ ترجعها الذاتية من بمثانأتها الى أحديّتها، إلى «عملان واحد» معها، ليكون أثره الأولي عليها دمجها فيها.

«الواحد» هنا مطلق لأنه يمحي كل غير، كما لو أن فاعله، أي فاعل قانونه، أي «النجم»، يقدم على «عملانه» مع ذاته، وفي أثناء هذا، يزيد من مراءاتها. فالغير ممحي هنا لأنه على مرآى من «النجم»، أو لأنه من مرآه. يقدم «النجم» على «الواحد» معه، وبهذا، يخرطه فيه، في مرآه. وأن «يعمل النجم واحدًا» مع غيره فيدمجه في ذاته، أن «يعمله» مع ذاته، فهذا، ليس استمناء، حيث يستحضر غيرًا من غيابه. لكنه، كناية عن منع لغياب هذا الغير، وفرض للمراءاة عليه، كما أنه، وفي الوقت نفسه، تحديد له بكون المواراة هي سبيله الى التفلت من فرض المراءاة. ولكن، ليست مواراته بسبيل، إنما هي أوج مراءاته، التي تعود وترده إليها.

على أن، ومن ناحية «المجتمع التقليدي»، بما هو على تجمهره، فـ«عملان الواحد» مع «النجوم» أثر من آثار تعرضه للـ«النجومية»، التي توجبه بها كما لو أنها وجهته التي لا مفر منها، كما لو أنها مصدر لمتعة لازمة له، ولزومها هنا يعني أنها تسوّغ وجوده. فيذهب في تلك الوجهة، «يعمل الواحد»، وفي النتيجة، ينخرط في «النجومية» كوجهة لا يستطيع تلافيها. وصحيح أن «عملان الواحد»، في هذا السياق، يتّجه صوب «النجومية»، إلا أنه، وأيضًا، يتعلّق بعدّه رد على سلطة فاعليها، على عنفهم.

إذ إنها شبيهة بالـ staroclasm، بتحطيم تلك السلطة عبر «عملان الواحد» معهم إثباتًا لكونهم ليسوا من عالم بعيد، من عالم مرتفع، لكونهم بلا وطأة. بهذا، الذهاب من ناحية «المجتمع التقليدي» الى «النجومية» ينطوي على ما يقترب من كونه ظن الإطاحة بها، باعتبارها فعالية قانون المراءاة، نظام «الواحد المطلق».

من ناحية «النجوم»، يتطابق «عملان الواحد» مع كونه دمج للـ«المجتمع التقليدي»، بوصفه غيرهم، في ذاتهم، فيهم، بمعنى محي غيريّته. ومن ناحية «المجتمع التقليدي»، يتطابق «عملان الواحد» مع كونه مذهب الى «النجومية»، ولكنه، مذهب لا يتّجه صوبها فحسب، إنما، وأيضًا، ينطوي على وهم تحطيم سلطتها، التي تلزمه بالمراءاة على أساس أنه هو الوجود بعينه، أي تخرطه في نظامه، مقوضةً إياه. «عملان الواحد» من قبل «النجوم» هو إزالة للغيرية، أما، «عملانه» من قبل «المجتمع التقليدي» معهم، فهو ينطوي على حسبان تحطيم لسلطة «النجومية»، وبهذا، هو بمثابة شكل لبروز تلك الغيريّة من جديد.

حرثٌ على الاجتماع

[١]   تحطّم

حيـن تغيـرتْ لعبـةُ المُجاذبـة بيـن «المجتمـع التقليـدي» و«مجتمـع النجـوم»، بـدا الأولُ أنـه انتـهى مـن الثانـي، ذاهبًـا إلـى «عمـلان الواحـد» بـمُفرده، وخـلال ذلـك، يبـرزُ علـى وضعـه، الـذي طالمـا كان فـي صورتـه.

كان هـذا «المجتمـع»، يلاحـق «الواحـد»، يريـد الاسـتحصال عليـه مـن «مجتمـع النجـوم»، لكـي يسـتمتع بمـرآه حتـى الانتهـاء منـه، وعندهـا، يركـز «تقليديتـه». ولكـن، وحيـن لـم يبلـغ بغيتـه، بـدت هـذه «التقليديـة» أنهـا لدنـة، وفـي هـذه الاثنـاء، تكشـف عـن وضعـه ذاك: وضـع المبرتـل، وضـع البرتلـة التـي تشـتغل فـي كل نواحيـه.

البرتلـة هنـا لا تعنـي انعـدام امتـلاك «الواحـد»، أو انعـدام «عملانـه»، بـل تعنـي أن المعرفـة التـي يسـتند اليهـا هـذا «العمـلان» هـي معرفـة محطمـة. وهـذه المعرفـة تفيـد أوليًّـا بكـون «عمـلان الواحـد» يقـوم باثبـات أن «عملانـه»

ليس ممكنًا، وليس بنفي انعدام الإمكان هذا. فـ«عملان الواحد» يرتبط بالتأكيد على كون «الواحد» لا «ينعمل». هذا التأكيد هو صميم تلك المعرفة، فكل «عملان» يقوم به، وكل «عملان» يودي اليه. على هذا النحو، «عملان الواحد» من قِبَلِ الاجتماع هو «عملانٌ» من دون المعرفة تلك، وفي الوقت نفسه، هو يُشكِّل بيانًا على مقربةٍ من صميمها، يعني من مُحاله. هذا الاجتماع، وحين «يعملُ واحدًا»، يبينه ليس ممكنًا، بحيث إنَّ بيانَه هذا تسجيلٌ لكون «الواحد» لا «ينعمل» لكون «عملانه»، وبمفردة من دون غيرها، مبدود، محال، أكثر من محال.

لقد قرَّر الاجتماعُ إياه أن «يعمل الواحد» من تلقائه، دون أن يترقَّبَه في «مجتمع النجوم»، لكي يُركِّز صورتَه، التي أُعطِيَتْ له من إعلام الإعلام. ولكنه وفي أثناء هذا، وقبل أن يصلَ إلى تركيز هذه الصورة، صنَع بيانًا للـ«واحد»، حيث «العملان» فيه يشير الى مبدوده.

كيف صنَعه؟

[٢] تمنزل وتفردن وتواصل

لـ«عملان الواحد»، استندَ ذلك الاجتماع إلى الجهاز، الذي يعني الكاميرا هنا. وهذه الكاميرا ليست من

طِـرازٍ دون غيـره، إنمـا يمكـن الإشـارة إلـى كونهـا: كاميـرا منزليـة، كاميـرا الهاتـف، كاميـرا اللابتـوب.

الكاميــرا الأولــى تجعــل مــن «عمــلان الواحــد» مناســبةً منــزلية، كعيـدِ ميـلادٍ أو حفلـة زواج... إلـخ. بحيـث إنـه يـدور فـي منــزلٍ، حيـث يُعلِّــق زمنَـه ومكانَـه علـى حدوثه. فــيَفتح «عمـلان الواحـد»، فـي هـذه الجهـة، المنـزلَ علـى خارجـه، ولكـنْ ليـس علـى خارجـه البــرَّاني، إنمـا علـى خارجــه الجُوَّانــي، إذ إنَّ الإقامــة بهــذا الخــارج لا تعنــي مُغادرتـه، بـل البقـاء فيـه. «عمـلان الواحـد» بحسـب تلـك الكاميـرا هـو «عمـلانٌ» فـي غَـور المنــزل، الـذي لا يحمـل لاحقًـا سـوى إليـه.

الكاميــرا الهاتفيــة تجعــل مــن «عمــلان الواحــد» مناســبةً فرديـةً، وهـي لا تـدور فـي فضاءٍ بــعَينه، إنمـا، وحيـن تُصوِّرُ فـي مـكان مـا، تُحوِّلُـه إلـى كونـه اسـتمرارًا لحاملهـا، إلـى كونــه يتمحــور حولــه. التصويــر الأســاس لتلــك الكاميــرا هــو الذاتــي، أو مــا يمكــن وصفــه بالوَجهــي، فحيــن تلتــقطُ موضوعَهـا، فــلكي تُوَجْهِنَــهُ، تجعلـه وجهًـا. علـى هــذا المنــوال، «عمــلان الواحــد»، بحســبها، يرتبــط بهــذه الوَجْهَــنَة، بمـا هـي صيغـة الفـرد، أيْ يرتبـط بتَكريـس هـذه الصيغـة، وصناعـةِ هـذا الفـرد. بعبـارةٍ أخـرى، حيـن يُقـدِم فردُهـا علـى «عمـلان الواحـد» مُصـوِّرًا إيـاه فـلِكي يضمَّـه إلـى وجهـه، لكـي يُقـوِّي وَجْهَنَــتَه بـه، كمـا لـو أنَّ «الواحـدَ»

الـذي «يعملُـه» هـو انعـكاسٌ لـه: واحـد «يعمـل واحـد».

أمـا «عمـلان الواحـد» بحسـب الكاميـرا الحاسـوبِية فهـو بمثابــة مناسـبةٍ تواصُلِيــة، إذ تــدور كأنهــا مراســلةٌ مــع طـرفٍ مـا. فـيَبدو «الواحـد المُنعَمِـل» كأنـه رسـالةٌ إلـى هـذا الطـرف، الـذي يبـدو، وحيـن يكـون موجـودًا، أنـه، ومـن جهتـه، يشـارك فـي «العمـلان» أيضـا، وهـذا، بـتَلـقِّيه مـن قِبَـلِ مُرسِـليه. فـ«عمـلان الواحـد» كمناسـبةٍ تواصُلِيـةٍ لا يتحقـق سـوى بـتَلقِّي رسـالتِه. أمـا، حيـن لا يكـون ذلـك الطـرف موجـودًا، فـيحلُّ مكانـه المرسِـلون، إذ إنَّ رسـالتَهم تذهــب منهــم لتعــود نحوهــم. فـ«يعملــون الواحــد»، يُرسِــلونه، ويتــلقَّونه، بمعنــى أنهــم المُرسِــل والمُتــلــقِّي، بالإضافــة إلــى كــون الرســالة تتضمنُهــم، فــتَنطوي علــى تأليفهــم لهــا قبــل أن تصــلَ إليهــم.

[٣] درء المخاطرة

قبـل أنْ يُـداوم ذاك الطـرف، أيِ المرسـل إليـه، علـى الحضور حيـال «عاملِــي الواحــد»، فــيَكُونَهُم أو يكـونَ شـخصًا فـي تواصــلٍ معهــم، هنــاك التِّـقــنيةُ نفســها. إذ يعمــدُ هــؤلاء إلـى «عمَلانِهـم» فـي إثــرها، الـذي قـد يتوجَّـه صَوبهـم مـن أمامهـم، أو مـن فوقهـم، أو مـن خلفهـم، أو مـن أيِّ جهـةٍ وجانــب.

هـذا مـا يحمـل إلـى استــفهامٍ، غالبًـا مـا يُطـرَح حولهـم: «لمــاذا يُصــوِّرون مُمارســتَهم الجنــس؟».

يصحُّ تناول هذا الاستفهام بـجَوابَين:

أولًا، أنهـم، وحيــن يعمِـدون إلـى «عمـلان الواحـد»، فــهذا لأنـه ليـس سـابقَ «العمـلان» بينهـم، بـل إنّـه، وفـي بينهـم هــذا، ليــس «مُنعمِــلًا»، أيْ أنَّ، وفــي بينهــم هــذا، بــدل الواحــد، هنــاك الفــراغ. بالتالــي، مَطلـعُ «عملانِــهم» هــو ذهابهــم فــي هــذا الفــراغ، فــي محلّــه، حيــث الواحــد ليــس موجــودًا، ومذهبُهــم هنــا قــد يســاوي لهــم ضَربًــا مــن المخاطـرة، بمعنــى أنــه مذهــبٌ فــي الـذي يخطُــر... الـذي يحـدث، مـن دون أن يكـون جَلِـيًّا سـلفًا، بـل مجهـولًا. علـى هـذا النحـو، وخـلال «عمـلان الواحـد»، قـد يَمضُـون إلـى إغـلاق عيونهـم فـي تخطيهـم لذلـك المبـدود بينهـم، فــي حيــن ذهابهــم بعضهــم صَــوب بعــض، كمــا لــو أنهــم يَجــتازون حـدودًا تَفصِلُهـم. يُغلِــقون مُقلاتِــهم، ولكنْ، وفي الوقـت نفسـه، يتــركون الكاميـرا تُصـوِّر مَذهبَهـم إلـى حيث هــو، أي أنهــا تَحــلُّ، وبعدسـتها المفتوحـة، مـكانَ أعيــنِهم المُقفَلـة، فتصـون سيرهم فـي المبـدود، كمـا أنهـا تحرسُــهم فــي حينــه.

علـى أنَّ الكاميـرا، وبعـد الصَّـون والحِراسـة، تُعيــنُهم علــى أمـرٍ بــعَينه، وهـو التأكُّـد مـن كونهم «عمــلوا الواحـد»، من كــون «الواحــد» قــد «انعــمَل». إذ إنهــا، وفــي حُســبانهم،

تُــتيح لهـم أن يـرَوه: أن يكـونَ علـى مَــرآى منهـم، بحيـث يَنظــرون إليــه، يفتحــون عيونهــم، مُركِّزيــن إيّاهــا علــى «عملانــه»، الــذي كان قــد دفعَهــم إلــى تســكيرها، مــن أجـل القـول إنـه هنـا بينهـم. علـى هـذا الأسـاس، الكاميـرا تبـدو أنهـا تقنــيةُ التشــبُّتِ مـن كـون «الواحـد ينعمِـل»، كمـا أنهـا تقنــيةُ السّــناحِ برؤيتـه ورؤيـة «عملانـه»، الـذي، وفــي حينــه... فــي حيــن التقــدم فــي مبــدوده، يُطبِــق الجفـونَ علـى ذاتهـا. الكاميـرا تُظهـر «الواحـدَ» لـ«عاملِيـه»، الـذي، وفـي أثنـاء «عملانـه»، لـم يسـتطيعوا رؤيــتَه بسـبب ذهابهــم نحــوه، انشــغالهم بــه، وبســبب خَشــيتهم عنــد اجتيـاز الحـدود بينهـم. الكاميـرا تُقـدِّم لهـم مَـرآى «الواحد» لكـي يَـروا كيـف «عمــلوه»، ومـرآه هـذا لا يسـتلزم منهم أيَّ مخاطـرة، بـل علـى العكـس، هـم يأتمنونـه علـى عيونهـم.

[٤] تـفـرُّجٌ مـفـارق

بعــد تصويرهــم لــه، قــد يعمِــد «عامِلــوه»، «عاملــو الواحــد»، إلــى عرضـه علـى الشاشــة. وبهـذا، يتلقَّونـه مـن علـى سَـطحها بتفرّجهـم، الـذي يعنـي، فـي هـذا المطـاف، ائــتمانهم «الواحــد»... «عملانـه»، علـى عيونهـم. إذ إنهـم، وفـي مقابـل شاشـته، يفتحونهـا، يُحملِقـون بهـا، مـن دون التوجُّـس بــكونِ خطرٍ قـد يُداهِـم، أو مجهـولٍ قـد يحـدث، أيْ مــن دون أيِّ لقــاءٍ مـع الفـراغ نفســه.

فالمَرآى، الـذي تصنعـه الكاميـرا، يقـوم بمحـي هـذا الفـراغ بينهـم، والاسـتعاضة عنـه بإظهـار جِماعهـم علـى أسـاس أنـه «العمـلان »، كمـا أنهـا، وفـي مُحصِّلتـه، تُقدِّمـه علـى أسـاس أنـه «الواحـد ». بالتالـي، مـن الممكـن القـول بـأنَّ التفـرّج هـو ائتمانُهـم «للواحـد » الـذي «عملـوه» علـى عيونهـم، بحيـث يتـراءى لهـا بـلا فـراغ، أو بالأحـرى لا يتـراءى لهـا سـوى بمحيـه. والائتمـانُ هنـا يعـادل الاسـتمتاعَ ب «الواحـد» حتـى الانتهـاء منـه، وهـذا الانتهـاء قـد يحمـل إلـى مـا هـو بمثابـة تركيـز لصـورة «المجتمـع التقليـدي»، التـي كانـت قـد أُعطِيَـتْ للاجتمـاع. ولكـنَّ هـذه الغايـة لا يمكـن تحقيقهـا.

مـن الممكـن الإشـارة إلـى أنَّ للتفـرج عِبارتَيـن: الأولـى، هـي «هـؤلاء هـم نحـن»، بحيـث أنَّ «عاملِـي الواحـد»، وحيـن يشـرعون بالتفـرج عليـه، يُردِّدونهـا، تأكيـدًا علـى كونهـم هـم بذواتهـم الذيـن علـى الشاشـة. هـذه العبـارة تُفضِـي، وبفِعـل المُضـيِّ بالتفـرج إلـى نهايتـه، إلـى ثانيـة، وهـي «هـؤلاء ليسـوا نحـن»، بحيـث إنَّ «عاملِـي الواحـد»، وبعـد اسـتمتاعهم بمَـرآه، ينفصلـون عـن الذيـن علـى الشاشـة إياهـا، ليصيـروا أغيـارًا لهـم. بهـذا، وبالانتقـال مـن العبـارة الأولـى إلـى العبـارة الثانيـة، يسـتطيع «عاملـو الواحـد » أن يتعاملـوا مـع الذيـن فـي مـرآه، مُركِّزيـن صـورة «المجتمـع التقليـدي»، الـذي كان قـد وُضِعـوا فيهـا. هـذا التعامـلُ قـد يكـون رفـضَ «الواحـد»، أو قـد يكـون القبـولَ بـه، ولكـن،

وعلـى المقلبيـن، هنـاك تركيـزٌ للـ«مجتمـع» بمـا هـو موضع موقفهـم.

إلَّا أنَّ التفـرج مـن قِبَـلِ «عاملِـي الواحـد» علـى شاشـتهم لا ينقـل مـن عبـارةٍ إلـى ثانيـة، بـل إنـه يسـاوي بيـن العبارتيـن، ويُـرادِف بينهمـا، مُنطَوِيًـا علـى مفارقـة. فهـذه الشاشـةُ مِـرآةٌ تعكـس «عمَلانَــهم»، تَعكِسـه كـ«عمـلان» من ذواتهـم، وبالفعـل نفسـه، تَعكِسـه كـ«عمـلان» مـن أغيارهم: إنهـم الذيـن فيهـا وليسـوا كذلـك علـى حـدٍّ سـواء. فعبـارةُ «هــؤلاء هــم نحــن» تَســكُنها «هــؤلاء ليســوا نحــن»، كمـا أنَّ «هــؤلاء ليســوا نحــن» تَســكُنها «هــؤلاء هــم نحــن». وفــي النتيجـة، لا يمكـن الانتــقال مـن عبـارةٍ إلـى ثانيـةٍ دون الانتــقال المُعاكِـس لـه، يعنـي لا يمكن الانتقال البَــتَّة. علـى هــذا النحـو، لا يـؤدي التفـرجُ علـى «الواحـد» مـن قِبَـلِ «عاملِيـه» فـي تركيـز صـورة «المجتمـع»، بـل يُبقِيــهم، وبــفِعل مَــرآى هـذا «الواحـد»، فـي اجتماعهـم.

[٥] ثَــورِيَّـة «العـمـلان»

علــى أنَّ تلــك الصــورةَ يجــب توطيدُهــا، وهــذا، لســببٍ أساســي، وهــو لأن تلاشــيها يخــلُّ بالإعــلام والدولــة. إذ إنَّ علـى «مجتمعهـا» أنْ يردهـا إلـى شاشـةِ الأول لكـي يَحرسـها جهـاز الثانــي، وبهـذا، يُشـغّل نظامَهمـا.

فعليًّا، إقدام «المجتمع التقليدي» على «عملان الواحد» بنفسه قد كشَف صورتَه عن كونه اجتماعًا محطمًا، أما تفرّجه على «عملانه»، فقد أبقاه في اجتماعه، ولم يُوطِّد تلك الصورة. فقد صار «عملان الواحد»، في هذا السياق، «عملانًا» يصرف منها إلى الاجتماع إياه، أما التفرج فسبيلٌ إلى الإقامة فيه. وبين الصَّرف والتفرُّج، هناك «واحدٌ مُنعَمِل»، وكلّ بيانه يشير الى مبدود «عملانه».

بهذا المعنى، «عملان الواحد» هو «عملان» ثوري، وثوريتُه هنا مُضاعفة: من ناحية كونه انصرافًا من «المجتمع التقليدي» إلى الاجتماع المحطم ثم الإبقاء فيه. ومن ناحية أنه يُلخبِط كلَّ مقصدِ هذا «المجتمع» منه، الذي، وبردٍّ صورته إلى شاشة الإعلام، يشغل نظامَه الذي يسكنه مع الدولة. فـ«عاملو الواحد»، وعند ذهابهم إلى «عملانهم» بغاية تركيز الصورة ذاتها، فلا يُحرِزونها، إنما يُحقِّقون خلافها.

وبهذه الطريقة، وبدل أنْ يردُّوا لتلك الشاشة صورتَهم التي أعطَتهم إياها، بدل أن يردُّوها مُوطَّدة، يردونها مُتلاشِية، أيْ إنهم لا يردونها البتَّة. وعندها، تبقى الشاشةُ من دونها، ولهذا بالتحديد، يحاول إعلامها، بنظامه، أن يعودَ ويصنعَها، أو بالأحرى يأخذها من هؤلاء الذين انصرفوا منها، ولَاشُوهَا، كما لو أنه ينتقم منهم.

[٦] غرضي ومعلومي

يحصُلُ القبض على «عاملي الواحد» من أجل إعادتهم الى الصورة عبر فعل بعينه، وهو التسريب. فبدل أن يكونوا هم الذي يتفرجون على «الواحد» بعد عملانهم إيّاه، يحلّ مكانهم أغيار لهم بعد أن يصل هذا «الواحد»، كفيديو جنسي، إليهم. بالطبع، هو يصل إليهم في أشكال عدة، يمكن التمييز بينها على أساس غرضيتها ومعلوميتها.

فقد يكون ذاك «الواحد» في شريط أو في قرص مضغوط، وبالتالي، التفرّج عليه يتطلّب تخصيص مطرح ـ وقت له، يكون بمثابة فُتحة في المطرح ـ الوقت المستقر والجاري على اعتياده، وهذا، قبل الاحتفاظ به كغرض. على أنّ «الواحد» إياه قد يجد طريقه الى متفرجيه عبر تطبيقات التواصل، واتس آب، أو عبر رابط يحملهم إلى موقع إلكتروني. وعلى هذا الأساس، يكون أقرب إلى المعلومة، بحيث يتلقونها من دون أن يفتحوا لها من حيزهم المعتاد، من مطرحهم ـ وقتهم، بل يدرجونها في سياقه. وبإدراجها هذا، تصير من المعلومات التي تبلغ هواتفهم أو حواسيبهم، فيخزّنونها ويتناقلونها.

غرضية «الواحد» تجعل التفرج عليه شبيه بحدثٍ، تمامًا، كما في حين صناعته بالكاميرا المنزلية، بحيث

يكــون عندهــا مناســبة. أمــا، معلوميتّــه، فتخفــف مــن حدوثيــة التفــرج عليــه، بــل تصيــر ســبيلًا إلــى إدراجهــا فــي ســياق حوادثــي واســع، حيــث تــدور فيــه حتــى انطفائهــا، قبــل أن يبقــى وقعهــا ماثــلًا، أو قابــلًا للاتقــاد مــن جديــد. علــى أن، وفــي الحالتيــن، فــي حالــة الغرضيّــة أو فــي حالــة المعلوميــة، للتفــرج أثــره علــى «عاملــي الواحــد»، وهــو ليس ســوى الأثــر الــذي يريــد أن يتركــه التســريب، وهــو نفيهــم مــن اجتماعهــم، وردهــم إلــى «المجتمــع»، وهــذا، بالاشــارة اليهــم بعبــارة: «إنهــم هــؤلاء»...

[٧] إرجاع وإسواء

حيــن يتفــرجُ «عامِلــو الواحــد» عليــه فــي الشاشــة، لا ينقلهــم فِعلهــم هــذا مــن عبــارة «هــؤلاء هــم نحــن» إلــى عبــارة «هــؤلاء ليســوا نحــن»، بــل إنــه يُبقــي الأولــى فــي الثانيــة، والعكــس. ولهــذا، هــو لا يحملُهــم مــن الاســتمتاع بــمَرآى «الواحــد» إلــى أَوجِــه، أي الانتهــاء منــه، فيُركِّــز صورةَ «المجتمــع التقليــدي»، إنمــا، وفــي إثــر مفارقتــه، يجعلهــم يرســخون فــي اجتماعهــم.

ولكــنْ حيــن يصــل مَــرآى «الواحــد» فــي الفيديــو إلــى أغيــار «عامِليــه»، فهــو يُشــقلِبُ كلَّ معادلــةِ التفــرج تلــك، أو بالأحــرى يُطيــح بمُفارقــتها: يصيــر الذيــن فــي المــرآى غيــر

المتفرجيـن عليـه. وبالتالـي، لا يعـود التفـرجُ سـبيلًا مـن عبـارة «هـؤلاء هـم نحـن» إلـى عبـارة «هـؤلاء ليسـوا نحن»، بـل إنـه ينطلـق مـن عبـارة إنهـم هـؤلاء مـن عبـارة «إنهـم هـؤلاء»، بمعنـى الإشـارة الـى هويتهـم، إلـى شـخوصهم، إلـى أسـمائهم، وهـذا، حتـى يبلـغ عبـارةَ «لسـنا مثلهـم». فهـذا التفـرج يَحبِـس هـؤلاء فـي المَـرآى، يُطابـق بينـه وبينهـم، ذاهبًـا مـن الاسـتمتاع بهـم حتـى الانتهـاء منهـم. وبهـذا، يضـعُ مُزاوِليـه فـي «صورتهـم»، التـي تفيـد بكونهـم ليسـوا علـى شـاكلة الذيـن فـي الفيديـو، أي إنهـم ليسـوا فيـه.

نافـلُ القـول أنَّ هـذا التفـرجَ، وبعـد تعطيـل مُفارقتـه، يُـرادِف معاقبـةَ «عاملِـي الواحـد»، بحيـث إنـه، بدايـةً، يمنعُهـم مـن بقائهـم فـي اجتماعهـم، يردُّهـم إلـى «المجتمـع»، الـذي، ومـن جهتـه، يجعلُهـم أضحيـةً مـن أجـل تركيـز صورتـه. فـيَمضي المتفرجـون عليهـم إلـى التضحيـة بهـم للتقـرب مـن الإعـلام، مـن نظامـه. وهـذا، عبـر التأكيـد لـه علـى الالتـزام بالصورة إياهـا، أيْ بإعـادة تَرميمهـا بعـد أن هشَّـمها «عاملـو الواحـد»، ثـم برَدهـا إليـه بعـد أن عكسَـها لهـم مـن مِرآتـه. فبـمُعاقبة «عاملـي الواحـد»، يتوطَّـد «المجتمـع»، كمـا تتفعَّـل صلتُه بـنظامه، وبيـن التوطيـد والتفعيـل، ثمـةَ إرجـاعٌ مـن الاجتمـاع، وإسـواء فـي السـابق عليـه، فـي صـورةٍ مصنوعـةٍ بالانتقـال مـن «إنهـم هـؤلاء» إلـى «لسـنا مثلهـم».

[٨] ثلة الـمــسرّب

مـن الممكـن تحديـد موقـع المُسـرِّب بأنـه علـى مقربـةٍ من مَـرآى «الواحـد »، الفيديـو، فـي الاجتمـاع المبرتـل، بحيـث يسـتحصلُ عليـه قبـل أن ينشـره فـي «المجتمـع». وهـذا لا يعنـي أنَّ «المجتمـع» سـالفُ الوجـود علـى النشـر، بـل إنـه، وقبـل حصولـه، يكـون مُتلاشِـيًا، أمـا، وفـي إثـره، فتَتوطَّـدُ صورتـه، أيْ يَنوَجِـد. بالتالـي، لا ينتشـر مَـرآى «الواحـد » فـي «المجتمـع » مباشـرةً، إنمـا هـو يؤلِّـف داخلَـه مـن خـلال تَعييـن الاجتمـاع كخارجِـه... يسـتلزمُ التأليـفُ هنـا تلقِّـي ذلـك المـرآى ثـم الشُّـروع فـي التفـرج عليـه، والتأليـف لا يغـدو توطيـدًا إلا بإتمـام هـذا التفـرج، والذهـاب بـه إلـى أَوجِ «لسـنا مثلهـم »، أيْ داخـل «المجتمـع » ليـس كخارجـه... ليـس كالاجتمـاع. علـى هـذا النحـو، المُسـرِّب يقصـد صناعـةَ الداخـل، ولا يسـتكمل الصناعـة هـذه سـوى المُتفـرِّج، وهـذا، عبـر تحويـل تلقِّـي المـرآى إلـى تَلـفٍ لـه.

فـي هـذه الجهـة، ثمـةَ اسـتفهامٌ يطـرح ذاتـه: لمـاذا يقصـد المُسـرِّب تلـك الصناعـة؟

فعليًّـا، المُسـرِّب هـو المتفـرجُ الأول علـى مَـرآى «الواحـد»، ولكنـه يعمِـد إلـى نَقلـه إلـى غيـره، علـى سـبيل مُشاركــته، التـي قـد تُـفيد هنـا، بأنـه لـم يسـتطعْ تحمّلَـه. المُسـرِّب هـو مَـن عجَـز عـن الذهـاب بــتفرّجِه مـن الاسـتمتاع إلـى الانتهـاء، مـن التلــقِّي إلـى التلـف، ولهـذا، ينقـلُ «الواحـد»

إلـى غيـره مـن أجـل أن يُعِيــنَه علـى ذلـك. وقـد يحـذو هــذا الغيــر حَــذوَ المُســرِّب نتيجــةَ العجــز إيــاه، فــيصير المســرب غيــر متنقــل، ولا يتوقــف عــن تنقلــه قبــل أن يتمكــن مُسرِّبٌ-مُتــفرِّجٌ مــن تحمُّــل «الواحــد» وإيصــال التفـرج عليـه إلـى عقبـه. وبهـذا، يتحقـقُ مقصد المُسـرِّب، الـذي، وبــنَقله «الواحـد» بعـد عَجـزِه أمامـه، يشـكل ثلـة مــن المســربين-المتفرجين، وهــذه ثلــة تُحــدّد داخلهــا، وفـي نهايـة تَسريــبها وتفرّجهـا، علـى أسـاس أنهـا «ليسـت مثــلَ» الاجتماع، ليسـت كــخارجها هـذا. يقـوم «المجتمع»، وفـي بدئـه، بثلـة العجـز عـن تحمـل «الواحـد»، يعنـي عـن إتمـام التفـرج عليـه. ولكـن، لمـاذا يعجـز المسـرب عـن هــذا الإتمـام؟

ربمـا، المُتفـرِّجُ الأول، وقبـل أن يكـون مُسـرِّبًا، لـم يسـتطع الانتقـالَ مـن «إنهـم هـؤلاء » إلـى «لسـنا مثلهـم »، وهـذا لسـببٍ أساسـي: أنَّ مـا لا يمكن لـه أن يتحملَه فـي «الواحد» هــو كونــه «لا يَنعَمِـل »، كونـه مبـدود. فحيـن نقَـل مـرآى «الواحـد » إلـى غيـره، فهـذا، لكـي يَدعـوه إلـى تقاسُـم نَفـيِ ذلــك المبــدود، وذلــك، بإشــاحَة الأنظــار عنــه وتصويبهــا نحــو «عاملِــي الواحــد ». إذ يصيــر التفــرجُ عليهــم بمثابــة نَفـيِ المبـدود بتركيـز العيـون علـى شـخوصهم، انطلاقًـا مـن عبـارة «إنهـم هــؤلاء »، والمُضــيِّ فــي هــذا التركيــز حتــى الانتهـاء منهـم، بالتوقـف علـى عبـارة «لسـنا مثلهـم ». ودَرءُ التماثـل معهـم هـو دَرءٌ لكونهـم، وفـي «عملانهـم الواحـد»،

لـم «يعملـوه» يعنـي أنـه دَرءٌ لكـون هـذا «العمـلان» هـو مبـدود. علـى هـذا المنـوال، التسـريبُ والتفـرج، أو توطيـد «المجتمـع » فـي نتيجتهمـا، يتمحـورُ حـول نَفـي المبـدود ذاك بإشـخاص «الواحـد»، أيْ لتَركيـز العيـون علـى «عاملِيـه» قبـل تقديمهـم أضحيـةً للإعـلام مـن أجـل ترميـمٍ للصـورة التـي هشَّـموها، ومـن أجـل رَدِّهـا إليـه...

[٩] تأطير المسلوب

ولكـنَّ تقديـمَ الأضحيـة للإعـلام، لنِظامـه، قـد لا يكـون عبـر التسـريب فحسـب، إنمـا، وأيضًـا، عبـر الْتِقـاط «عاملـي الواحـد» مـن دون انتباههـم. إذ يمضـي شـخصٌ مـا، وفـي حيـن «عملانهـم» لهـذا «الواحـد»، إلـى توجيـه كاميرتـه الهاتفيـة صَوبهـم، مُلتقطًـا إياهـم بـلا عِلمهـم قبـل أن يُقدِمـا علـى نشـر الفيديـو.

هـذا الالتقـاطُ هـو بمثابـة رَدَّةِ فعـلٍ علـى «عمـلان الواحـد»، الـذي يتلقَّـاه مُزاوِلُـه كأنـه خطـرٌ يُهـدِّد الصـورة ذاتهـا، أي صـورة «المجتمـع»، التـي يُقيـم بهـا. بكاميرتـه يمنـع هـذا الخطـر مـن تهديـد صورتـه، وبالتالـي، يَذهـب إلـى الْتقاطـه، واضـعً إيـاه فـي إطـار، قبـل نشـره.

بَيـدَ أنَّ التقـاط «عمـلان الواحـد»، أو وَضعـه فـي إطـار، ليـس هـو الـذي يـؤدي إلـى صناعـة مَـرآه. فالمُلتقِـطُ،

ولكـي يتلقَّـى «عمـلان الواحـد »، وفـي عقبـه، كتهديـدٍ للـ«مجتمـع »، ينطلـق مـن تفرّجـه عليـه. وفـي نتيجـة التفـرّج، يصنـع مَـرآه، ذاهبًـا مـن الاسـتمتاع بـه إلـى جَعلـه مُسـكِّنًا للخطـر، الـذي يفيـد أنَّ ذلـك «الواحـد» مبـدود «عملانـه ». بالتالـي، يُقـدِم علـى الْتقاطـه، علـى تَأطيـره، مـن أجـل ضَبـط هـذا المـرآى، قبـل نَقلـه إلـى غيـره مـن خـلال نشـره، وهـذا لأجـل نَفـيِ المبـدود منـه عبـر تركيـز العيـون علـى «عاملِيـه».

علـى هـذا النحـو، يصيـر «الواحـد» مُعـرَّضً ليكـون موضـوعَ الْتقـاطٍ مـن قِبَـلِ غيـر «عاملِيـه»، الذيـن، وبتحولـه إلـى هـذا الموضـوع، قـد يَعطِفـون «عملانـه» علـى الريبـة. إذ «يعملونـه »، وفـي خاطرهـم، أنَّ ثمـة مـا يسـتدعي القلـق خلالـه، وهـو أنهـم «يعملـوه»، ليـس مـن أجلهـم، إنمـا مـن أجـل أحـدٍ مـا يواظـب علـى مُراقبتهـم. فيصيـر «عمـلان الواحـد» مـن قِبلهـم بمثابـة سـبيلٍ إلـى إمتاعـه قبـل أن يَصطـدم بالمبـدودِ فيـه... بخَطـرِه، فيذهـب إلـى التخلّـص منـه بنَشـره. بعبـارةٍ أخـرى، يغـدو «عاملـو الواحـد» فـي خدمتـه إلـى درجـة أنـه يَسـلبهم مـا «يعملـوه» سـلفًا، فهـم «يعملـون » المسـلوبَ منهـم.

ثمـةَ مقارنـةٌ لا بـد منهـا بيـن المُسـرِّب والمُلتقِـط: الأول ينشـر «الواحـد» بعـد وقوعـه علـى مَـرآه مـن

قِبَـلِ «عاملِيـه»، فيردهـم بذلـك مـن اجتماعهـم إلـى «المجتمـع». الثانـي، ينشـر «الواحـد» بعـد صناعتـه لمَـرآه، وبذلـك لا يردُّهـم إلـى «المجتمـع»، بل إنـه يقبض عليهـم قبـل ذهابهـم إلـى اجتماعهـم، أو مـن دون أن يعزمـوا علـى الذهـاب حتـى. علـى أنَّ الاثنيـن، يجعلـون مـن «عمـلان» هـؤلاء، وفـي أثنـاء النشـر، «عملانًـا» لغيرهـم، تمامًـا، كمـا لـو أنهـم يشـتغلون لإمتاعـه إلـى أنْ يتخلـصَ منهـم، مُعاقبًـا إياهـم علـى كونهـم انصرفـوا أو قـد ينصرفـوا مـن «المجتمـع». وقبـل كلِّ هـذا، ينـزُل بهـم العقـاب علـى كونـه، وفـي أثنـاء تفرجـه علـى «عملانهـم الواحـد»، قـد اصطَـدم بالمبـدود فيـه، فمـا كان منـه سـوى أن يحبِسَـهم فـي إطـار مُقاصَصتهـم، لكـي ينتهـي منـه...

[١٠] إفـرادٌ على غـفـلـة

علـى أنَّ الْتـقـاط «عاملِـي الواحـد» قـد لا يحصـل مـن قِبَـلِ شـخصٍ غيرهـم، إنمـا مـن قِبلهـم، بحيـث إنَّ واحـدًا منهـم يمضـي إلـى الْتـقـاط غيـره بــمَعرفته أو بدونـه، وهـذا قبـل أن يعمـدَ إلـى نشـر الفيديـو بـلا أيِّ اتفـاقٍ معـه. بهـذا، المُلتـقِط يأتـي إلـى رجـاء «عمـلان الواحـد» كأنـه مُرسَـلٌ مـن «المجتمـع» لكـي يأتـي لـه بــضحيةٍ فيُقدِّمهـا إلـى نظـام الإعـلام.

يمضـي المُلتــقِطُ إلـى ذلـك «العمـلان»، يشـارك فيـه مـع غيـره، وبالفعـل نفسـه، يتفـرج عليـه، فــيَستمتع بـ«الواحد»، لكنـه، وفـي لحظـةٍ بعينهـا، يقـع علـى كونـه لا «ينعمـل»... علـى مبـدوده. بالتالـي، لا يقـدر علـى تحملـه، فــيَشرع فـي تأطيـر مَـرآه، واضعًـا غيـره داخلـه. بهـذه الطريقـة، بدايـةً، يعمِـد الملتــقِطُ إلـى التبــرُّؤ، ليـس مـن «عمـلان الواحـد»، إنمـا مـن مبـدود «عملانـه»، من كونـه لا يسـتطيع «عملانه» بالتحديـد. وفـي النتيجـة، يلتــقطُ غيـره فـي مَـرآه كمـا لـو أنـه يرمـي علـى عاتقـه ذلـك المبـدود باعتبـاره ذَنبًـا، وكمـا لـو أنـه يُبدِيـه علـى وضـعٍ مُحـدَّد، وهـو وضـع المغفـل. وغُفولـه هنـا لا يتعلـق فقـط بكونـه قـد يكـون ملتــقطًا دون دِرايتـه بذلـك، بـل، وأيضًـا، بكونـه يحسـب أنـه «يعمـل الواحـد» مـع شـريكه لكنـه فعليًّـا «يعملـه» بمفـرده.

بعبـارةٍ أخـرى، الملتــقط، وبعـد أن يصطـدمَ بــالمبدود فـي «الواحـد»، ينسـحب مـن «عملانـه» بــتَأطير مَــرآه، تـاركًا غيـره ذاك داخلـه، وفـي إثـر ذلـك، يأتـي بـه، وعلـى غفلـةٍ منــه، إلــى «المجتمــع». هــذا «المجتمــع»، ولكــي يُوطِّــد صورتـه، يَشـرع فــي التفـرج علـى هــذا الغيـر، علـى هــذا المفـرد، فــيَستمتع به بطريقـةٍ مُضاعَفة: يسـتمتع بـ«عملانه الواحـد»، ويسـتمتع بــخِداعه، وهـذا إلـى أنْ ينتهـي منـه لكـي يتخلّـصَ مـن المبـدود نفسـه، الـذي يجعلُـه مُرتَكِـبَه. علــى هــذا النحــو، يصيــر «عمــلان الواحــد» ســبيلًا إلــى السـقوط فـي فـخٍّ «المجتمـع»، الـذي، وعبـر المُلتــقِط،

يُحـوِّل الانصـراف منـه إلـى الاجتمـاع مجـرد تَمتيـــنٍ لـه، وخـلال ذلـك يحبـس «عاملِي الواحد» بــمُفردهم كــمُغفلين فــي مَــرآه، معاقبًـا إياهــم.

[١١]   إطــباق على النـساء

عنــد التركيــز، وبعــد إلتقــاط «عاملــي الواحــد»، أو بعــد تسـريبه فـي بيانـه، علـى النسـاء اللواتـي يبـرزن فيـه، فهـذا لأنهـن، وبحسـب الملتــقِط والمُسـرِّب، مَحــطُّ التفـرج مـن أجـل الاسـتمتاع بهـن حتـى الانتهـاء منهـن. إنطـلاقُ التفـرج يرمـي مبـدود «عمـلانِ الواحـد»، كخطيئـةٍ، علـى عاتقهـن. فالتفـرج، فـي هـذه الجهـة، يَسـكنُه اتّهـامُ تلـك الأجسـاد بالمبـدود علـى أسـاس أنـه جريمـةٌ قـد ارتكبهـا.

فـي إثـر هـذا، يصنـع التفـرجُ بالنسـاء، بأجسـادهن، وبعـد اتِّهامهــن بالمبـدود، مَـرأةً، تقـع فـي المَـرآى، الـذي يُطبـق عليهـا، فــيُحوِّلُها، كــمَحطٍّ للعيـون، إليـه. بالتالـي، تصيـر المــرأةُ، هنــا، هـــي مَــرآى «الواحــد»، بحيــث إنَّ هــذه العيـون تسـتمتع بهـا حتـى التخلّـص منهـا، وفـي أثنـاء ذلـك، تصمهـا بالمبـدود، بكونهـا تُهـدِّد «عمـلان الواحـد». فهـي مـرآى «الواحـد»، الـذي تريـد أن تُــقوِّضه، وفـي النتيجـة، الاسـتمتاع بهـا، مـن أجـل الاسـتمتاع بـ«الواحـد»، وحيـن يُفضـي إلـى القضـاء عليهـا، فبــهدف الحفـاظ عليـه.

نافلُ القول أنَّ التفرج، في هذه الناحية، وبصِناعته من النساء مَرأةً في المَرآى، وفي الوقت نفسه، هي مَوصومة بكونها تُقوِّضُه، يجد في «العملان» «عملانًا» ذكريًّا، بحيث أنَّ «الواحد»، الذي يَصدرُ عنه، هو على صفته هذه أيضًا. في هذا السياق، يتقدم «الواحد» كالقضيب، إذ إنه، وحين تقترب منه المرأة تلك، يتهدَّد، ونتيجة ذلك، يلتقطُها صاحبه في مَرآه، يحبسها داخله، يُطبِقها عليه. فبدل الإحداث معها، يُعرِّضها للإجداث، لكي يذهب إلى الاستمتاع بها حتى الانتهاء منها. بهذا، يغدو التفرج حِيالها بمثابة سبيلٍ لضمان «الواحد»، وذكريته، ولضمان «واحِدية»، وذكرية، كلِّ مزاولٍ له.

[١٢] ذكورية

لا يمكن اختصار الذكورية بكونها مجردَ صناعةٍ للمرأة في مرآى «الواحد» عبر الإطباق على النساء داخله. وهذا، من أجل الاستمتاع بها حتى الانتهاء منها على سبيل الحفاظ عليه. فهذه الذكورية تتعلقُ بالسابق على هذه الصناعة، بالداعي إليها، بفرض المعتقد نفسه: «الواحد ينعمل».

فعليًّا، الذكوريةُ كنايةٌ عن إتمام هذا المعتقَد، بحيث إنها إرادةُ فَرضِه من قِبَلِ حامِله على النساء، وعلى كل مختلفٍ عنه. إذ يستند إلى الجنس مثلما يُقدِّمه

معتــقده، أيْ مجـرد «عمـلان للواحـد»، الـذي، ولكـي يُحقِّقه بالكامـل، يذهـب إلـى إلغـاء غيـره. هـذا الإلغـاء لـه مقالـب عـدة. فالذكـوريُّ يُحـدِّد بُغيـة غيـره بكونهـا «الواحـد» إيـاه، وهــذا «الواحــد»، ليــس الجنــسَ فحســب، إنمــا، وأيضًــا، «واحــده». يسـتفهم «مـاذا يريـد غيـري؟»، ويُجيـب «يريـد قضيــبي، سـلطتي»، ويضيـف «يريدني». فــكلُّ هـذه الأمور، أيِ الجمـاع والقضيـب والسـلطة والـذات، هـي «الواحـد»، الــذي يبتغيــه غيــره. بالطبــع، ابتغــاء الغيــر هــذا يعنــي، وبحســبه، أنــه يريــد، ومــن ناحيتــه، القبــضَ عليــه. ولكــنَّ الذكـوريَّ، وبــظَنِّه أنَّ الغيـر علـى هـذا النحو، هو يَستَسـقِطُ عليـه، بمعنـى أنـه يجعلـه مُماثِـلًا لـه، فلأنـه هـو، وحيـن يبتــغي، لا يكـون وضعُـه هـذا رغبـةً، بـل نزعًـا إلى التسـلط، فــيظنُّ غيـره كذلـك. بالتالـي، هـو، وعندمـا «يعمـل واحـد» مـع غيـره، يحسـب أنـه، وبهـذا، يصـدُّ اسـتيلاءه عليـه، أنـه يدافـع عـن «واحـده».

فـي النتيجـة، تكون الاطاحـة بالغير، بدايةً، بــتَحديد بُغيــته، ثـم بتحديـد معنـى ابتغائـه بــوَصفه نزعًـا. وهـذا، قبـل أن يسـتكملَ الذكـوريُّ الإِطاحـة عبـر اسـتِدخاله فـي «واحـده»، عبـر دفعـه إلـى الاعتقـاد أنـه يملـك «الواحـد»، وأنـه هـو أيضًـا يسـتطيع الاسـتحصال عليـه. أمـا، وحيـن يخفـقُ فـي هـذا الاستِــدخال مـن جـرَّاءِ أن الغيـرَ يبقـى عاصيًـا عليـه، فهـو ينتقـل مـن الاعتـداء عليـه، إلـى الاعتـداء علـى جسـده، ليجعــلَ مــن جِنســه معــه تحطيمًــا لــه. وبالطبــع، بيــن

الاستِـدخال والاعتـداء، يعمَـدُ الذكـوريُّ إلـى التــقاط غيـره فــي مَــرآى «الواحــد»، إلــى حَبســه فيــه، وهــذا، قبــل أنْ يَعرِضَـه للتفـرّج، بحيـث إنـه يُقدِّمـه للاسـتمتاع بـه حتـى الانتهـاء منـه.

الاســتمتاعُ بــه بــوَصفه، وتمامًــا كمــا فــي وضــع المــرأة فــي المَــرآى، مُســتَباحًا، واســتباحته تتعلّــق بكونــه يريــد «الواحــد»، يعنــي أنــه لا يملكــه. أمــا، الانتهــاء منــه، فــباعتباره، وببسـاطةٍ، يُهـدِّد «الواحـد»، وتهديـده لـه يصدر عـن كونـه لا يملكـه، مـا يعنـي أنـه يريـد الاسـتيلاء عليـه. يعـرض الذكـوريُّ هـذا الغيـر للتفـرّج مـن قِبَـلِ «مجتمعـه». فمــن ناحيــةٍ، يُتيــح لهــذا «المجتمــع» أن يكــون «واحــدًا» فـي مقابـل المتفـرج عليـه، ومـن ناحيـةٍ ثانيـة، يَنــتمي هـو إليـه، إلـى «واحِـده». وفـي الحالتيـن، يَسـمح بـرَدِّ الصـورة التـي أعطاهـا نظامـه إلـى «المجتمع» إيـاه، برَدِّها مُوطَّــدةً.

الذكوريــةُ هــي مــن صَميــم هــذا النظــام، مــن إنتاجــه، بحيــث إنهــا تعمَــدُ إلــى حراســته، إلــى الانتــقام لــه مــن الذيــن انصرفــوا مــن تلــك الصــورة إلــى اجتماعهــم، أو مــن الذيــن كانــوا ذاهِبين إليه. الذكوريُّ ينتــقم لــنِظامه لــيُخبره مــرةً تلــو المــرة أنــه مُلتــزمٌ بــه، بــتَطبيق مُعتــقده كامــلًا، أيْ كــون «الواحــد ينعمــل»، وهــو لا «ينعمــل» ســوى بنَفــي مبــدود «عملانــه». وخــلال ذلــك، يُبيِّــن أنَّ «عمــلان الواحــد» مــع الغيــر ليــس ســوى «عمــلان لــواحد» بــحَقه، وضــده،

سوى «عمـلان» لـنَفيه، باعتبـاره مُتـهمًا بـذاك المبـدود.

ثمـةَ بينـه وبيـن النجـم صلـةٌ بائنـة، وهـي أنـه وإيـاه يَمُـدَّانِ «واحدهـم» علـى الأغيـار، لـيَصيروا مـن ذواتهـم، إكسســوارًا لهــا. وإذا كان النجــمُ يفعــل ذلــك حيالهــم بالإشــارة لهــم أنَّ بُغيتَهــم هــي أنْ يظهــروا علــى نحــوه لكــي يكونــوا، بالتالــي، لا بــد لهــم أن يتماهــوا معــه، أن يتشبَّــهوا بـه. فالذكـوريُّ هـو الـذي يستــند إلى كـون هذه الإشـارة تعنـي، وفـي نهايتهـا، محوهـم، وبالتالـي، يذهـب، وبالاعتــداء عليهــم، إلــى معناهــا مباشــرةً، إلــى تنفيــذه كمــا هــو: إلــى نَفيهــم كأجســاد. ربمــا، بهــذه الطريقــة، يظـنُّ أنـه نجـمٌ مـن النجـوم، منتــقلًا مـن الالتــزام بنظامـه إلــى الاســتحصال علــى موقــعٍ فيــه.

[١٣] الخَـلْـط

غيــر أنَّ، ومــع انتــقال المُلتــقِط أو المُســرِّب إلــى نشــر الفيديــو، الــذي يظهــر فيــه «عاملــو الواحــد»، أيْ مــع انتــقالهما إلى نشـر مَرآى هـذا «الواحـد»، لكـي يدفعَـا إلى التفـرّج عليـه، ثمـةَ أمـرٌ قـد يُصيبـه، وهـو تَـلفه. ففـي إثـر تـداول هـذا المـرآى، وتحويلـه مـن تقنيـةٍ إلـى غيرهـا، مـن هاتـفٍ إلـى الشـبكة العنكبوتيـة... ومـن هـذه الشـبكة إلـى الحاسـوب... ومـن الحاسـوب إلـى قـرص، يُصـاب بالتَّــلف، وبأعطـابٍ تَجعلُــه مَخلوطًــا، بحيــث أنَّ «عاملِــي الواحــد»،

اللذيـن يظهـرون فيـه، يَظهـرون فـي خَلطـه هـذا، وبذلـك، لا يعـود مـن الممكـن القبـض بالعيـون عليهـم.

علــى أنَّ التفــرجَ لا يتعرقــلُ فقــط نتيجــةَ الخَلــطِ الــذي ينطـوي المَـرآى عليـه فـي إثـر تَلفـه، بـل إنـه، وحتـى حيـن يسـتمر، فهـو يجعـل مُزاوِلَـه علـى وضـعٍ مُحـدَّد، وهـو وضع المرتـاع.

ربما، ثمةَ أمران يُشيران إلى هذا الوضع:

الأول، أنَّ المتفـرجَ يرتـاع مـن كـون ذلـك المـرآى، بمـا هـو فيديوهـات، قـد يـؤدي إلـى جَرثمة أجهزتـه، أكان الحاسـوب أو الهاتـف، بحيـث إنـه حمَّـالُ فيروسـات. فعندمـا يَمضـي المتفـرج إليـه، بـتَشغيل قُرصـه أو فتـح مَلفِّـه، أو النقـر على رابطـه، سـيؤدي ذلـك إلـى انتشـارٍ للفيروسـات الإلكترونيـة، التــي تُعطِّــل تلــك الأجهــزة. ولهــذا بالتحديــد، لا بــد مــن تجنُّــب ذلــك التفــرج، أو بالأحــرى ذلــك المــرآى، الــذي يضـرب كلَّ النظـام الجهـازي. بالطبـع، يـزداد ارتيـاع المتفـرج مــن هــذا المــرآى حيــن يكــون علــى تَــلفه، فجَماليــتَه لا توافـق جماليـة المــرآى البورنوغرافـي، التـي يُصوِّب عيونـه عليهـا مـن دون قلـقٍ لأنـه يُقـدِّم لـه «الواحـد» علـى نحـوٍ نظيـفٍ وخـالٍ مـن الأعطـاب. فالمتفـرج، وعندمـا يقـع علـى المـرآى إيـاه، ويجـدُ فيـه «الواحـد» علـى عكـس ذاك الـذي يصنعُـه البورنـو، يرتـاع منـه، وارتياعـه هـذا إشـارةٌ إلـى أنَّ «الواحـد» الأول قـد لَخبَـط تصـوره عنـه باعتبـاره «واحـد»

صقيـل ولا شـوائب فيـه.

الثانــي، أنَّ المتفــرج، وإن كان يُركِّــز عيونَــه علــى ذلــك المــرآى عبــر الحاسـوب مُتداعبًــا أو مُســتمنيًا، فهـو يعمِـد إلـى تعليـق ورقٍ لاصـقٍ علـى كاميرتـه، بحيـث إنـه يرتـاع مـن كونـه ينقلـب إلـى موضـوع الْتــقاطٍ مـن قِبَـلِ أحـدٍ مـا. حيـن يتفـرج يرتـاع مـنِ احتمـال أن يكـون مُتــفرَّجًا عليـه، مِـن أن يصيـر لاحقًـا فـي المـرآى نفسـه. علـى هـذا المنوال، الـورقُ اللاصـق يَحميـه، ويجعلـه يلبـث بـطُمأنيــنته، مبعـدًا عنـه خطـر جَـرِّه إلـى المـرآى، الـذي سـيَظهر فيـه خـلال «عملانـه الواحـد» معـه، أيْ «واحـد» وحيـد. بــتَعليق ورقٍ لاصــق علــى الكاميــرا، يحــاول المتفــرجُ ألا يُتيــح لذلــك المــرآى أن يَبــتلعه، وعندهــا ينقلــب تفرّجُــه مــن كونــه استِــمتاعَه بـ«الواحـد» حتـى الانتهاء منه إلى كونه اسـتمتاعًا بـه هـو حتـى الانتهـاء منـه بوصفـه مـن الأضحيـة المُقدَّمـة لــنظام الإعـلام. أمـا، تُهمتـه فهـي أنـه يكشـف كـون «عملان الواحـد» هـو «عملانًـا» لا غيـر فيـه، أكان غائبًـا أم حاضـرًا

.

مـــبــــدود

[١] الشَّــوف

حيـن يصـل مـرآى «الواحـد»، الـذي صنَعـه «عاملـوه»، إلـى عيـون أغيارهـم الذيـن يشـرَعون فـي التفـرج عليهـم، يـؤدي ذلـك إلـى التضحيـة بهـم لـرَدِّهم مـن اجتماعهـم المحطـم توطيـدًا لصـورة «المجتمـع التقليـدي». علـى هـذا النحـو، يطـرح ذلـك المـرآى اسـتفهامًا علـى كلِّ مَـن يتلـقاه، علـى كلِّ مَـن يقـع علـى الفيديوهـات التـي تنـتشر علـى المواقـع البورنوغرافيـة، والتـي ليسـت فـي الأسـاس مُصـوَّرةً لـه، مـن أجـل أن يُحملِـق فيهـا: كيـف مـن الممكـن ألا يتفـرج عليهـا لكـي لا يضحـي بـ«عامليهـا» فيردهـم مـن اجتماعهـم إلـى «المجتمـع»؟»

بـدل التفـرج لا بـد مـن الشَّـوف بمـا هـو مُمارسـة لمشـاهدة كـون ذلـك المـرآى، بمـا هـو «عمـلان الواحـد»، يَنطـوي علـى مبـدوده، بمعنـى أنـه ممارسـةٌ لإثبـات هـذا المبـدود. فـي إثـر الشَّـوف: بدايـةً، لا يكـون «عاملـو الواحـد» موضـوع اسـتمتاعٍ وانتــهاء، بـل إنهـم، وبالإضافـة إلـى شائِـفي مرآهم،

يؤكـدون أنَّ هـذا المـرآى هـو مـرآى «الواحـد» المبـدود. ثـم أنَّ هـذا المـرآى، وبالتأكيـد علـى كونـه كذلـك، يتحـولُ إلـى بيـان، بحيـث إنـه يـدور بإبانـة المبـدود نفسـه، بكـون كلِّ «واحـدٍ» هـو مبـدود «عملانـه». علـى هـذا النحـو، الشَّـوفُ هـو ممارسـةٌ تُـثـبت كـون «عاملـي الواحـد» فـي اجتماعهم، بحيـث لا يعـودوا عالقيـن فـي كـون «هـؤلاء هـم نحـن» مَسـكونة بـ«هـؤلاء ليسـوا نحـن»، والعكس، بل يتخطـوا ذلك، ومـع الشائــفين، إلـى «الواحـد لا ينعمـل». بذلك، يتمسـكون بالمبـدود، الـذي حـاول كلٌّ من الملتــقط والمُسـرِّب أن يَنفِيَه لأنـه لا يتحمَّلـه، يتمسـكون بمـا يُعطِّل الالتــقاط والتسـريب.

ينطلــق التفــرجُ صَــوب «الواحــد» عبــر إشــخاصه بهــم، بـــجِماعهم، مُركِّــزًا عليهــم، مــن أجــل أن يَنــفي مبــدود «العمـلان». إلَّا أنَّ الشـوفَ قـد يكـون قـادرًا علـى إفلاتهـم من ذلـك التفـرج، مـن تركيـزه علـى شُـخوصهم، لـيتحوَّلوا، مـع شائِــفي مرآهـم، إلـى مُدلِّيـن علـى المبـدود، لكـي يسـتوي بيانهـم علـى معنـاه.

[٢] إبـانـة بالمحـايثـة

مـا الفـرق بيـن المَـرآى والبيـان؟ الأول هـو موضـوع التفـرج، بينمـا الثانـي هـو صناعـة «عاملِـي الواحـد» ومـن الشائــفين معًـا. غيـر هـذا، فالمـرآى يقـوم بكـون «الواحد ينعـمل» على أسـاس نَفـيِ مبـدود «عملانـه». فـي حيـن أنَّ الثانـي يـدور

بكـون هـذا «العمـلان» لابثًـا بــمبدوده، وبالتالـي، هـو إبانـة لهـذا المبـدود. ربمـا، الاسـتفهام الـذي يطـرح نفسـه هنـا هو: هـل البيـان يعنـي اللا-مـرآى؟ أو بالأحـرى هـل البيـان علـى صلـةٍ بـه؟

البيـانُ هــو بعـد المـرآى واللا-مـرآى، بينهمـا، بحيـث إنــه، فـي كليهمـا، وفـي الوقـت نفسـه، خارجهمـا، يفتحُهمـا علـى المبـدود الـذي يتَّــفِقا علـى إعدامـه، علـى نَفيِـه مـن أجـل أن يُنــتِجا «عمـلان الواحـد». فـي البيـان، «الواحـد» يقتــرن بــمبدود «عملانـه»، وبالتالـي، هـو يجعلُـه على مقربـةٍ، وهي مقربـة شـديدة ممـا هـو فـي معرفتـه، التـي تحطَّمـتْ.

علـى أنَّ إبانـةَ «الواحـد» تتعلـق بــتَمثيله، الـذي يصيـر، وعلــى وقعهــا، تمثيــلًا محايثًــا لهــذا «الواحــد»، لمبــدود «عملانـه» بالطبـع. فـليست الإبانة علـى الضدِّ مـن التمثيل، أو إزالـة لـه، إنمـا هـي مـا تجعلُـه لا ينقلـب إلـى مـرآى، أو ينتــقل إلــى لا-مـرآى، لا تجعلُـه احتفــاءً بـ«العمـلان»، بامتـلاك «الواحـد»، ولا اختــفاءً بعـد الوصـول بالاسـتمتاع بـه إلـى عقبـه. تُبقِـي الإبانـةُ تمثيـل «الواحـد» مُعلَّقًـا علـى مبـدوده، وبهـذا، يبـدو أنهـا تُعيـد لـه مـا نفـاه منـه المـرآى واللا-مـرآى.

البيـانُ ليـس بورنوغرافيًّـا، إنمـا هـو، وإنِ انطلـق مـن مَـرآه، الــذي يــدور حــول كــون «الواحــد ينعمــل»، لا ينقلــب عندهـا إلـى تَبَورُنِــي، أيْ يبلـغُ اللا-مـرآى. البيـانُ يتخطـى

البورنـو والتَّـبورُن إلـى تمثيلـه فـي نحـو مبـدود «العملان»، مبـدود «الواحـد».

[٣] صداقة الاقتدار

لا يمكــن لــشَوف «الواحــد» أن يحصــلَ مــن دون صلــة اقتداريـة بالذيـن هـم فـي مـرآه. وهـذا، لسـببٍ أساسـيٍّ، وهـو أنَّ الشـوفَ لا يجعـل منهـم موضوعًـا لمُمارِسـيه، إنمـا يجعـل مـن مُمارِسـيه «أصدقـاء» لهـم. فالطرفـان، أيْ «عاملو الواحـد» والشائــفون، يُصادقـان علـى كون «الواحـد» مبدود «العمـلان»، بمعنـى أنَّ علاقتهمـا تنطلـق مـن تصديـق هـذا المبـدود، وبهـذا، ترسـو علـى كونهـا صداقـة.

هـذه الصداقـةُ يتبادلهـا الطرفـان لكـي تُعينهـم علـى إثبـات ذلـك المبـدود، وبالتالـي، مغـادرة موقفيـن بعينهمـا.

الأول، مــن ناحيــة «عاملــي الواحــد»، هُــم، وبتلــك الصداقــة، وإن تحوَّلــوا إلــى فُرجــة، ســرعان مــا يُعرقِلــوا عمليـة الاسـتمتاع بهـم حتـى الانتهـاء منهـم، وهـذا لأنهـم يتمسـكون بكـون «الواحـد»، الـذي أقدمـوا علـى «عملانـه»، مبـدودًا. لــذا، هــم لا يملكونــه، ولا يجــدون فــي كونهــم علـى هـذا الوضـع أيَّ غلـطٍ أو عيـب. علـى العكـس، إنهـم، وفــي وضعهــم إيــاه، علــى ســبيل الإطاحــة بتقديمهــم أُضحيـة، قبـل مغـادرة نظـام هـذا التقديـم. الصداقـة، فـي

هـذا السـياق، تجعلُهـم يُثبِــتون مبـدود «العمـلان»، مبـدود «الواحـد» بوَصفـه وضعًـا اقتــداريًّا.

الثانــي، مــن ناحيــة الشــائفين، هُــم، وبصداقــة «عاملــي الواحـد» معهـم، لا يغـدون متفرجيــن، وهــذا لأن إثباتهـم للمبـدود يجعـل مـن مَسـعى نَفيهـم لـه مـن جـراء عـدم تحملهـم إيـاه أمـرًا غيـر ضـروري البتـة. بذلـك، وإنْ سَـرَّب لهـم أحدهـم فيديـو مـا، لا يشـاركون فـي تداولـه مـن أجـل تحقيـق ذلك المسـعى، مُركِّزيـن على «عاملـي الواحد»، على شـخوصهم، إنمـا يعرقلـون تناولهـم كموضـوع، بإبطالـه، بمـا هـو تمسـك بالمبـدود أيضًـا. فـي المطـاف ذاتـه، الشـائفون، وحيــن لا يكونــون متفرجيــن، فهــم لا يصنعــون مَــرأةً بالإطبـاق علـى النسـاء مـن «عاملـي الواحـد» فـي المـرآى، مُتهِميـن إياهـا بالمبـدود لكـي يُوطِّـدوا صـورةَ «مجتمعهـم» بمـا هــو ذكـري. علـى خـلاف ذلـك، يفضـي الشَّـوف إلـى كـون مُمارسـيه و«عاملـي الواحـد» لا يجِـدون فـي المبـدود نفسـه تهمـةً، علـى العكـس، يَعقـدون بـه صـلات، تَقــترن بتخطِّــي المــرآى واللا-مــرآى، تقتــرن بالحيلولــة دونهمــا، بالإطاحـة بوطأتهمـا. عَقـدُ الصِّـلات هـذه شـكلٌ مـن أشـكال الصيـرورة النسـائية .

علـى أنَّ الصداقـة بيـن الطرفيـن، ولأنهـا إثبـات للمبـدود، هــي أيضًـا إثبـات للاجتمـاع، الـذي يسـكن «عاملـو الواحـد» فيـه. وهـذا، بوصفـه موقعًـا ليـس قبـل «المجتمـع»، أكان

«التقليـديَّ» أو «المتحـرر»، بـل بعـده، بعـد نظامـه بإعلامـه ودولتـه، ونحـو نظـامٍ مختلـف عنـه.

[٤] مـنبـوذ الأعلمة

ولكـنَّ الصداقـةَ مـع «عاملـي الواحـد» غالبًـا مـا يُأتـى عليهـا مـن قِبَـلِ النظـام إيـاه، ومَـردٌّ ذلـك، أنَّ إلغـاء الشـوف هـي ركيـزةٌ مـن ركائـزه.

وهـذا، عبـر الإعـلام بالطبـع، بحيـث إنـه يحـثُّ «مجتمعَـه» علـى تقديـم أضحيـةٍ لـه مـن أجـل تركيـز الصـورة التـي عكسـها مـن شاشـته صَوبـه، وهـذا لكـي يُقـدِّم، مـن جهتـه، رجـاءً لمراءاتـه بمـا هـو علـة وجـوده. فالإعـلام يُخبـر المقيميـن فـي هـذا «المجتمـع» أن لا إمكانيـةَ لوجودهـم مـن دون أنّ يكونـوا مرئييـن فيـه، علـى متـن تلـك الصـورة، وفـي كل نواحيهـا، لا سـيما فـي ذروتهـا، باعتبارهـا «تحـررًا» مـن «تقليديتهـا». فـي هـذه الـذروة، يتحولـون إلـى نجـوم، وبهـذا يكونـون: الـكلُّ يـؤدي للـكل، الـكل يتفـرج علـى الكل، الـكل يسـتمتع بالـكل، والـكل ينتهـي مـن الـكل. كمـا لـو أن «المجتمـع»، أكان «تقليديًّـا» أو «متحـررًا»، لا يَبغـي سـوى لفتـةٍ مـن الإعـلام نحـوه علـى أسـاس أنهـا دليـلُ وجـوده، لا يبغـي سـوى أن يتفـرج علـى ذاتـه فيـه، وفـي أثنـاء ذلـك، يتفـرج بعضـه علـى بعـض. بهـذا، يكـون الشـوفُ منبـوذًا داخـل العلاقـة بيـن الإعـلام و«المجتمـع»، أو داخـل أعلمـة

«المجتمـع»، بحيـث إنـه، أوليًّـا، يسـتلزم تعطيـلَ هـذه الأعلمـة، وفتـح صـورة «المجتمـع» علـى اجتماعـه، علـى خارجـه.

علـى أنَّ الشـوفَ لا يُنبـذ مـن الإعـلام فحسـب، بـل مـن الدولـة أيضًـا، فهـي تُركِّـز «المجتمـع»، وهـذا مـن خـلال حراسـة «صورتـه» مـن أيِّ فتحٍ لهـا. علـى أنَّ هـذه الدولـة، وبدورهـا هـذا، تصـون أعلمتهـا، التـي تعنـي هنـا مَعيَـرةَ وجودهـا، وتمامًا، كـ«المجتمع»، على أسـاس مرئيتهـا. إذ إنها، ولكـي تَنوجِـد، لا بـد لهـا أن تكـون علـى مـرآى، أمـا وحيـن لا تكـون كذلـك، فهـي تبـدو أنهـا ليسـت موجـودةً، وعلـى هـذا الأسـاس، تنتشـر المطالبـة بهـا، أو يَذيـعُ الاسـتفهام الشـهير «أيـن الدولـة؟». بالتالـي، ومـن خـلال التـواري، أو الإقامـة في اللا-مـرآى، تُكـرِّس التطلـعَ إليهـا كمـا لـو أنهـا، وفـي الأسـاس، منعدمـةُ الوجـود، ولـتُحقِّق وجودهـا، تنتـقل إلـى المـراءاة، أو إلــى المــرآى. فيكــون انتقالهــا هــذا بمثابــة معجــزة، مثلمـا يكـون وجودهـا إيـاه بورنوغرافيًّا، قوامـه الاسـتعراض، وموضوعـه قوتهـا بعـد أن كان موضوعـه اضمِحلالهـا. فهـي تسـتعرض، مـن جهـة المـواراة، هـذا الاضمحـلال، ومـن جهـة المـراءاة، قوتهـا، وفـي المقلبيـن، تبقـى علـى ذلـك الوجـود البورنوغرافـي.

ونافـلُ القـول فـي هـذه الجهـة أنَّ انتقـال الدولـة مـن الـلا-مـرآى إلـى المـرآى تكفلـه إشـارة مـن إعلامهـا، أو كلمـةٌ منـه،

تحضُّها على «القيام بواجباتها»: مذيعٌ يستقبل مجرمًا في برنامجه، يتحدث معه قبل أن يُسلِّمه، على الهواء مباشرة، للقوى الأمنية. بهذا، يصير الكلُّ في الاستديو، التلفزيوني، أو «المجتمعي»، يشتغل نظامه على إنتاج فاعله: المؤدي والمتفرج، مُفعِّل سلطة الإعلام وسلطة الدولة.

[٥] تفخيخ بالإمعان

في إثر نَبذ الشَّوف، يعني اغتيال مُمارسيه، يبقى «عاملو الواحد» في فيديوهاتهم من دونهم. وعلى هذا النحو، هم يَركنون بقصد وبلا قصد إلى تكتيكاتٍ من أجل ألا يغدوا موضوعًا للتفرج، للاستمتاع بهم حتى الانتهاء منهم، مُشيرين إلى المبدود في مرآهم، الذي يغدو بيانًا.

التكتيكُ الأوليُّ لـ«عاملي الواحد» هو أن يُنتِجوا مرآه، حيث يظهرون فيه بأجسادهم، ولكن، من دون رؤوس. وبهذا، يصيرون كنايةً عن أجسادٍ يحتّك بعضها ببعض في ذلك المرآى، واحتكاكها هنا يستقر على كونه فالتًا، مُطلَقَ السَّراح، وبالتالي، يَنطوي على نوعٍ من الإصرار في رجائه. فتلك الأجساد تُواظِب على هذا الجِماع، تُصمِّم عليه، تُمعِن فيه، وهذا من دون أن تتوقَّف عنه، وفي النتيجة، تبدو أنها على قناعةٍ بكونها قادرةً على

«عمـلان الواحـد»، فـتتشبَّث بهـذا «العمـلان»، ولا تبعـد عنـه.

علــى هــذا النحــو، وحيــن تظهــرُ هــذه الأجســاد أمــام المتفرجيــن، تبــدو مُربِكــةً لهــم لســببٍ أساســيٍّ: لا يسـتطيعون أن يرمـوا عليهـا مبـدود «الواحـد» كمـا لـو أنـه مـن اقتــرافها، وهـذا لأنهـا، وبجِماعهـا الثابـت، وبتمسُّـكها بـه، تبـدو أنهـا تسـعى، ومـن جهتهـا، إلـى نفـي ذلـك المبــدود. فهـذه الأجســاد، وبطريقــةٍ مــا، تمضــي إلــى تحقيـق مـا يَبـغيه، أيْ جعـل المبـدود غيـر موجـود، أو أنهـا تُخبِرهـم، وبجِماعـه نفسـه، كونـه ليـس موجـودًا. فـي هـذا المَطـاف، وحيـن يتفرجـون عليهـا، يرتاحـون إليهـا، وتصيـر مصـدرَ طمأنينـةٍ لهـم، فتظهـر لهـم كأنهـا «تعمـل واحدهـا» مـن أجلهـم، وكأنهـا تفعـل ذلـك علـى بلاهــةٍ مـن قِبَلِهـا، بحيـث إنهـا مقتنعـةٌ أكثـر منهـم بكـون «الواحـد» ليـس مبـدود «العمـلان». فبــتفرُّجِهم، يرتطِمـون بهـذا المبـدود، يُدركونـه، أمـا الأجسـاد، التـي قُطعـتْ رؤوسـها، فهـي تمضي إلـى «واحدهـا» كأن مبـدوده بديهـي الانعـدام.

فـي إثـر ذلـك، يقـعُ المتفرجـون فـي فـخٍّ هـذه الأجسـاد التــي تُصـر علــى «عملانهــا» أمامهــم. فــلا يذهبــون إلــى الاسـتمتاع بهـا حتـى النهايـة، لأنهـم، وإن فعلـوا، يتخلصـون مـن دليـلٍ علـى كـون «المبـدود» مُنعدمًـا. بـل إنهـم يُوقِفون اسـتمتاعهم بهـا علـى ارتباكهـم حيالهـا قبـل أن يرجعـوا إلـى

بدئـه. ارتباكُهـم هـذا، الـذي قـد يحملهـم إلـى تـرك فرجتهـا، هــو علامــةُ انكســارهم.

[٦] بــرم الإشخاص

وقـد لا يَعمِـدُ «عاملـو الواحـد» إلـى قطع رؤوسـهم، بـل إنهم قـد يُبقـون عليهـا، ذاهبيـن إلـى بـرم ظهورهـم. فـيتحوَّلون عندهـا إلـى أجسـاد كاملـة، ولكـن، بـلا وجـوه، أيْ بـلا مـا يُعـرف عنهـا، بـلا مـا يُحدِّدهـا، بـلا بَصَماتِهـا. هـذا، مـا يجعلُها منفصلـةً عـن شـخوصها، بحيـث إنهـا، وفـي المـرآى، لا تُحيـل إليهـم ولا ترتبـطُ بهـم، أو بالأحـرى لا تُبدِيهـم، بـل إنها تُــقدِم علـى «عملانهـا» مـن دونهـم.

فعليًّـا، فـي حـال كانـت الأجسـادُ التـي لا رؤوس لها تَبـدو أنها تُقيـم بالمـرآى، لا تنصـرفُ منـه، مـن دون أن تكـون قـد أتـتْ مـن مـكانٍ مـا. فالأجسـاد التـي تبـرم ظهورهـا تبـدو، وعلـى عكسـها، أنهـا وَجـدتْ سـبيلَها إلـى هـذا المـرآى مـن مـكانٍ مـا، ولكنهـا تُحـاول الانصـراف منـه. إذ تغـدو داخـل هــذا المـرآى كمـا لـو أنهـا «تعمَـلُ الواحـد» كــمرحلةٍ مـن مراحـل انصرافهـا، بمعنـى أنهـا لا تَعلـقُ فيـه، لا بـل إنهـا تفــتحُه، فـلا يعـود مُغلَقًـا، بـل ثمـةَ بـابٌ فيـه، وهو بـابٌ على مـا لا يمكن تحديـده، علـى مـا يبقـى مـن الوجـه فـي حيـن نَزعِـه، علـى اللَّا-وَجـه. بهـذه الطريقـة، تَغـدو تلـك الأجسـاد كأنهـا تمضي إلـى «العمـلان» لــتَفتحَ مَــرآه، لكي تُشـير إلى كونـه مفتوحًا،

وإشـارتها هـذه تُحيـل إلـى كـون «واحدهـا» مبـدودًا.

علـى هـذا النحـو، وأمـام المُتــفرِّجين عليهـا، تَظهر أنهـا تحتلُّ ذلـك المـرآى لكـي تُحقِّـق إشـارتَها تلـك، لكـي تُبيِّــن لهـم المبـدود. وبدورهـم، لا يسـتطيعون أن يُتمِّموا الاسـتمتاع بها... أن ينــتهوا منهـا، لأنهـم عاجـزون عـن إرجاعهـا إلـى المـكان الـذي أتـتْ منـه، عـن رَدِّهـا إلـى مَرجعهـا. فهـي أجسـادٌ بـلا شـخوص، بحيـث أنَّ رَمـيَ المبـدود علـى عاتِــقها بإشـخاصها لا يُحقِّـق غايتَـه، كمـا أنَّ رميَـه عليهـا هـو فِعـلٌ باطـلٌ لأنهـا، وفــي الأسـاس، لا تُخفــي إقدامَهـا عليـه. إنهـا أجسـادٌ تُقلِـق المتفرجيــن، لا تجعلُهـم مُطمئنيــن إلــى «عمـلان الواحـد»، بـل إنهـا تَربِطُهـم بمبـدوده، وتُحـوِّل نَزعهـا لوجوههـا، لا-وجوههـا، إلـى علامـةٍ عليـه.

علــى أنَّ المتفرجيــن قــد يعتــزمون مُقاومتهــا، بحيــث يُفتِّشـون عـن ملامـحَ منهـا، لكـي يتعرفـوا عليهـا، أو لكـي يُحدِّدوهــا. ولكــن، وحيــن يخفقــون فــي رفــع بصماتهــا، فضلاتهــا، يُفَبــرِكونها. فــيَمضي واحدُهــم إلــى نشــر فيديوهاتهـا علـى مواقـع البورنـو بعناويـنَ تحتـوي أسـماء لأشـخاص مُعيَّنيــن، وبالتالــي، يصيــر التفـرج علـى مرآهــا هــو تفرجًـا عليهـم، فــتحلُّ تلـك الأسـماء مـكانَ وجوههـا المنــزوعة، كمـا لـو أنهـا تُرجِعها إليهـم. غيـر أنَّ قـدرة الـلا-وجـوه لا يمكـن إخفاضهـا بالأسـماء، لا بـل إن الأسـماء تصير، وفــي إثرهــا، تــدلُّ علــى البــاب الــذي تصنعـه فــي مــرآى

«الواحـد»، يعنـي ترتطـم بمبـدوده، الـذي سـرعان مـا يصيـر مبدودهـا. فـلا تعـود الأسـماء مَحمولـةً مـن قِبَـلِ أحـد، بـل إنهـا تحمـل إلـى مبـدوده، إلـى مبـدود شـخوصه، وبهـذا، علاقــتها باللا-وجـوه يُشَـقلِبُ معناهـا: لا تُحـدِّد بـل تُبـدِّد كلَّ تحديـد.

[٧] الحط بعيدًا

تتعـدَّى تكتيـكاتُ «عاملـي الواحـد» قَطـعَ الـرؤوس وبـرم الظهـور إلـى الجمـع بيـن الفاعليـن فـي التـقـنُّع. إذ يبرزون فـي مرآهـم بأقنعـةٍ، تلبـسُ رؤوسـهم، وتُخفِـي وجوههـم. بهـذا، تصيـر أجسـادهم معلقـةً على هـذه الأقنعة، بــمعنى أنهـا تـدور حولهـا، كمـا لـو أنهـا تُشـكِّل محورهـا. فــمهما احتكَّـتْ بعـض هـذه الأجسـاد ببعـض، تبـدو أنهـا تفعـل ذلـك صَـوب أقنعتهـا، كمـا تفعـل ذلـك فـي ظِلِّهـا.

فـي هـذه الجهـة، وعندمـا تقـع عيـون المتفرجيـن علـى هـذه الأجسـاد، تبـدو أنَّ الأقنعـةَ تَصرِفُهـا عنهـا، وهـذا لكـي تَجذِبهـا نحوهـا. بالتالـي، تغـدو العيـون علـى مقربـةٍ مـن أمـرٍ معيـن، وهـو تزحلقهـا علـى الأقنعـة، انزلاقهـا علـى سـطحها. ولا يتحقـق هـذا الأمـر للعيـون فعليًّـا سـوى بعـد أن ترمـي إلـى اختـراق هـذه الأقنعـة مـن أجـل إماطتهـا، وتحديـد مَـن يرتديهـا، وحيـن لا تقـدر علـى ذلـك، ترتطـم بالمبـدود. فـي الواقـع، ارتطامُهـا بـه يتبـدَّى لهـا كــعجزها،

وهـذا لأن بُغيتَـه الرئيسـية هـي نَفيُـه، ولكـن، وحيـن تبلغـه، يُحيلها بلوغُها إياه إلى ذلك العجز. في النتيجة، لا يردُّ التقنع هذه العيون عن الأجساد فحسب، بل إنه يجعلها تُقابل ما تحاول، تفرّجها، إلغاءَه، يجعلها ترتطم بـه.

وعلى إثر ارتطامها، تجد في رجائه، يعني رجاء الرؤوس والوجوه، رجاءَ خطرٍ لها، فتُزيح عنه. فتَحتَ الأقنعة، ليس هناك رؤوسٌ ووجوه، بل هناك المبدود، هناك «واحدٌ» مبدود، ولهذا، لا بد من تَرك العيون تحطُّ، لا على الأجساد، إنما بعيدًا عنها.

[٨] فاصل البدن

عندما تصير الأجساد بلا رؤوسها أو وجوهها، فتثبت في رجاء جِماعها، قد لا تردُّ عيون المتفرجين عليها بالإصرار على «عملانها» فحسب، بل إنها، وأيضًا، باتِّسامها بوَضعٍ معينٍ يتعلق بها، وهو بدانتها. فالعيون تلك، وحين تنزل على هذه الأجساد من دون أن تكون مُزوَّدةً بشَحمها المتدلِّي منها، ومن دون أن تكون على ضخامتها التي تصدر عن سمنتها، تجد أنَّ ابتلاعَها يسير. إذ تُركِّز العيون على هذه الأجساد في رجائه، الذي تجعلُه، وبكل أجزائه، محيطًا بها، أو بالأحرى محاصرًا لها. فالتفرجُ يقفل هذا الرجاء، ويُخبِر الأجسادَ فيه أن

لا مَنفَـذَ منـه، بحيـث إنـه بمثابـة فَخِّهـا، الـذي وقعـتْ فيـه، فوجـدتْ كلَّ تلـك العيـون تنتظرهـا مـن أجـل ابتلاعهـا.

ولكـنَّ الأجسـاد، وحيـن تتصـفُ بـبدانتها، لا تسـتطيع عيـونُ التفـرج إياهـا أن تُركِّـز عليهـا، وتحاصرَهـا فـي مَطرَحِهـا، وهـذا لسـببٍ بسـيط: أنهـا لا تكتفـي بالرسـوخ فـي رجـاء جِماعهـا، إنمـا تَجتاحُـه. ففـي حيـن أنَّ التفـرج يريـد أن يُوجِّـه الرجـاء ذاك ضدهـا، أي يَقلِبُـه إلـى كمينٍ لهـا، تبـدو أنهـا تُهيمِـنُ عليـه، وتُغيِّـره إلـى رجائهـا. وفـي حيـن أنَّ التفـرج ذاتـه يريـد إخبارهـا بكـون لا منفـذَ لهـا مـن هـذا الرجـاء، فهـي سـرعان مـا تُبيِّـن لـه أنهـا لا تحتـاج إلـى منفـذٍ منـه لأنـه، وببسـاطة، ليـس مقفـلًا عليهـا. بالعكـس، هـي، وباجتِياحِهـا لرجائهـا، وباسـتِحواذها عليــه، تُسـوِّيه علـى صلـةٍ بهـا، فحيـن تتحـرك فيـه تبـدو أنهـا تَبسـطُه، وحيـن تـثـبت فيـه، تتركُـه علـى جمـوده، أو بالأحـرى تُغلِقـه عليه، وهـذا، بـلا أن تكـون فيـه.

علـى هـذا النحـو، لا تسـتطيع عيـون التفـرج أن تَحبِـسَ الأجسـادَ البدينـة فـي رجـاء جِماعهـا، لكنهـا تنـزلُ عليهـا بعـد أن تُقـدِم هـذه الأجسـاد علـى اجتياحهـا. نـزولُ هـذه العيـون علـى الأجسـاد لا يُمكِّنُها مـن ابتلاعهـا، إنمـا يحملهـا إلـى الارتطـام بهـا. بـدل أن تختـرقَ العيـونُ رجـاء الأجسـاد، مُلتـفَّةً حولهـا، مـا إن تذهـبُ نحوهـا حتـى لا تتمكـن مـن التسـلل إلـى رجائهـا، والتحلُّـق حولهـا، تبقـى علـى سَـطحها،

ولا تقـدر علـى اجتيازهـا. بهـذا، لا تبـدأ العيـون بعمليـة التفـرج، بـل تَعلـقُ فـي مطلعهـا، بحيـث أنَّ الأجسـاد تُحبِـطُ دخولهـا إلـى رجائهـا، وبالفعـل نفسـه، تُحبِـط إحاطتهـا بهـا. فـي ذلـك المطلـع، لا تبلـغ العيـون الرجـاء ولا أجسـاده، إنمـا ترتطـم بالثانيـة بعـد أن سَـيطرتْ علـى الأول، أيْ أنهـا ترتطـم بهـا، لا كأجسـادٍ تريـد ابتلاعهـا، إنمـا كحاجـزٍ يمنـع اسـتكمال عمليتهـا. فالبَدانـة بمثابـة حائـلٍ بيـن العيـون مـن جهـة، والأجسـاد مـن جهـة أخـرى: حائـل يُعطِّـل التفـرج، ويسـرح الجِمـاع فـي رجائـه.

[٩]   سخرية تناسليّة

تتغيـر صلـةُ «عاملـي الواحـد» بالمتفرجيـن، فبعـد أن يمنعوهـم مـن أشـخاصهم بجَعـل أجسـادهم بـلا رؤوسـها ووجوههـا، أو مُقنَّعـة، يَمضـون إلـى مـا يشـبه السـخرية منهـم. إذ يصنعـون مـرآى لـ«واحدهـم» هـو كنايـة عـن الأعضـاء التناسـلية مـن أجسـادهم نفسـها، بحيـث لا يظهـر فـي فيديوهاتهـم سـواها.

عندمـا يرمـي المتفرجـون عيونهـم علـى ذلـك المـرآى، يقعـون علـى هـذه الأعضـاء، التـي لا يسـتطيعون مـن خلالهـا تحديـدَ أصحابهـا. تصيـر هـذه الأعضـاء هـي مـا تُـرك لهـم مـن «الواحـد»، وبهـذا، الذيـن «عملـوه» يُوفِّرونهـا لهـم باعتبارهـا خُلاصتـه: «أليـس هـذا مـا تريدونـه مـن التفـرج

علينـا، خـذوه!». وغالبًـا، مـا يقتـرن توفيـر الأعضـاء هـذا بتَأطيرهـا، بحيـث يُصوِّرهـا «عاملـو الواحـد» بالتقريـب منهـا، كمـا لـو أنهـم يكشـفون عـن ملامحهـا، عـن تفاصيلهـا. وبالتالـي، يدَّعـون أنهـم، وكعيـون المتفرجيـن، يشـرحونها، مـن أجـل إباحتهـا، مـن أجـل إماطـة اللثـام عنهـا، تمامًـا كمـا لـو أنهـا وجوههـم. فـ«عاملـو الواحـد» يسـتعيضون عن وجوههـم بهـذه الأعضـاء لـتَكونها: يُظهِرونهـا كأنهـا سـتُحيل إليهـم، لكنهـا، وفـي نهايـة تظهيرهـا، تجعـل المتفرجيـن يصلـون بسـرعةٍ إلـى مـا يُقدِّمونـه كهـدفِ رَمـي عيونِـهم علـى مرآهـم. بعبـارةٍ أخـرى، يحسـب «عاملـو الواحـد» أن المتفرجيـن، وهـو حسـبان دقيـق، يريـدون مـن رَمـي عيونهـم علـى احتـكاك أجسـادهم أن يقعـوا علـى أعضائهـم، فـيُظهِروها لهـم مباشـرةً.

وبهـذا التظهيـر، يكفلـون تعطيـلَ التفـرج، فمـا إن ينطلـق حتـى يتوقـف علـى الأعضـاء التـي تَظهـرُ لهـم، وبسـبب تَأطيرهـا بالتقريـب، كوجـوه. وفـي هـذه الناحيـة بالتحديـد، تستـقرُّ صلـةُ «عاملـي الواحـد» بالمتفرجين على السـخرية: يسـخرون منهـم بتوفيـر الأعضـاء كوجـوه، يُتيحونهـا لهـم لكـي يتعرفـوا عليهـم. إلَّا أنَّ، وحيـال وجوههـم البديلـة هـذه، لا يَقـدر المتفرجـون سـوى علـى التجمُّـد. فـإن تَخطوهـا، وهـي عقـب الجِمـاع، يبلـغ تفرجهـم المبـدود، وإن بقـوا عليهـا لا يسـتطيعون إشـخاصَها لأنهـا لا تُحيـل إلـى «عامليهـا»، أمـا العـودة منهـا إلـى الأجسـاد فليسـت

ممكنــةً البتــة. نتيجــةَ ذلــك، وفــي حيــن أن التفــرج قــد حــاول الاســتيلاء عليهــا، تســتولي عليــه، ويَعلــقُ فيهــا، وفــي هــذه الأثنــاء، يتعــرضُ مُزاوِلــوه إلــى مقلــبٍ ســاخر.

[١٠] خشية التضاحي

مــاذا يعنــي أن تُــردَّ العيــون إلــى أصحابهــا قبل أن يســتكملوا تفرجَهــم، قبــل أن يســتكملوا تحولَهــم إلــى متفرجين؟

مــن الممكــن القــول إنهــم بــدل أن يشــرعوا عندهــا فــي عمليتهــم، ترتــدُّ هــذه العمليــةُ عليهــم. إرتدادُ هــذه العملية يــؤدي إلــى كونهــم يصيــرون موضوعَهــا، وبذلــك يتحولــون مــن مشــروع متفرجيــن إلــى مشــروع مُتــفرَّجٍ عليهــم. مــع الإشــارة إلــى أنَّ المشــروعَين لا يتحققــان بالكامــل، بــل ينتــقلان مــن الأول بوصفــه محتمــلًا إلــى الثانــي باعتبــاره مــن قَبيلــه مــن دون أن يَتِــمّ. بانتــقالهم هذا، تنــزل عيونهم، التــي كانــوا قــد أطلقوهــا صَــوب «عاملــي الواحــد»، عليهــم، حاملــةً معهــا رَطمتهــا. هــذه الرطمــةُ، التــي خلَّفهــا وصــولُ عيونهــم إلــى دَربٍ مســدودٍ حيــال الأجســاد وشــخوصها، تتوجَّــه نحوهــم، وتجعلُهــم علــى خشــيةٍ تســتحصل علــى مواضيــعَ متعــددة، كأن تكــون أجســادهم كتلــك الأجســاد، التــي لــم يَقــدروا عليهــا، أو كأنْ يصيــروا مــن المتفرجيــن عليهــم.

وبالتـوازي مـع هـذا، هـي خشـيةٌ مـن العقـاب، الـذي قـد ينــزل عليهـم أيضًــا، لأنهـم لـم يتمكنـوا مـن الاسـتمتاع بالأجسـاد تلـك والانتهـاء منهـا، أيْ لـم يتمكنـوا مـن إطعـام نظامهـم أيَّ أضحيـة، ولـم يتمكنـوا مـن توطيـد الصـورة التي كان قـد أعطاهـم إياهـا. فعليًّـا، هـي خشـية أن يكونـوا فـي دائـرة الاتهـام مـن قِبَـلِ هـذا النظـام. وهـذا، علـى حسـبان أنـه يربـطُ بيـن كونهـم انتـقلوا إلـى كونهـم مُتـفرَّجًا عليهم مـن جهـة، وكونهـم لـم يُقدمـوا علـى تشـغيله مـن جهـة أخـرى. وعلـى حسـبان أنـه، وبهـذا الربـط، قـد يجـد فيهـم أنهـم مــن أصحـاب الأجسـاد إياهــا، وبالتالـي، يسـتعيض بهـم عـن الأضحيـات التـي لـم يُوفِّروهـا لـه.

مصرف

[١]　　جوليا

جوليـا طالبــة لبنانية-أميركيــة، تحــب الكتابــة، الشــعر، الرســم، القراءة...تريــد دعــم دراســتها الجامعيــة، ولهــذا، تصنــع فيديــوات جنســية، تنشــرها علــى قنواتهــا فــي مواقــع البورنــو، منتظــرةً الاســتحصال علــى بعــض النقــود مــن المتفرجيــن عليهــا. نشــر جوليـا لفيديواتهـا علـى هــذه المواقـع لا يعنـي أنهـا مـن انتـاج مؤسسـة البورنوغرافيـا، بما هــي أوج مــرآى الجنــس، كمــا لا يعنــي، بالطبــع، أنهـا تنتمـي الــى لا-مــرآه. جوليـا تصنـع بيـان جنسـها، هــي عاملتــه، ولهـا طريقتهــا فــي صناعتــه، ومــا هــي ســوى طريقــة بســيطة للغايــة: تضــع كاميــرا أمــام ســريرها، الــذي تســتلقي عليــه، قبــل أن تتداعــب، وتســتمني.

فجوليـا تحضـر، وعلـى الغالـب مـن فيديواتهـا، وحيـدة فـي بيانهــا، الــذي، وإن كانــت تصنعــه بتلــك الطريقــة، فهــي، وبالتــوازي مــع ذلــك، تبنــي ســينوغرافيته، وهــذا، بإدخــال العلــم اللبنانــي فــي ديكــوره. فيرتفــع هــذا العلــم، وعلــى

الـدوام، خلـف موضـع اسـتمنائها، مقدمـةً إيـاه علـى أسـاس أنــه خلفيتــه. فعليًــا، يبــدو هــذا العَلَــمُ، تعليقــه، بمثابــة اســتدعاء لوطــن الأهــل والأجــداد، وهــو إن كان لا يبــدل فـي انفـراد جوليـا، ولكنـه، يسـنده بمـاضٍ، بهويـة وطنيـة. علـى أن جوليـا، وحيـن تبـرز هـذه الهويـة فـي بيانهـا، فهـي، بدايـةً، تجعلـه ينـدرج فـي سـياقها، أو بالأحـرى فـي سـياق جنسـها، فـي سـياق حكايتـه: ليـس بيانهـا بعـد فيديـوات «عاملــي الواحــد» المســربة، إنمــا هــو يتصــل بــه علــى ســبيل تغييــر فيــه. هــذا الاتصــال يتعلــق بصناعــة جوليــا لفيديواتهــا، متيحــةً إياهــا، مثلمــا بكونهــا جعلــت مــن تجنسـنها فيهـا مصـدر تـرزّق، بحيـث إنهـا تبـادل تصويـره، تصويـر جسـدها فـي إثـره، بالقليـل مـن المـال. لقـد حولت، وبعبـارة أخـرى، «العمـلان» الـى عمـل. فهـي، قـد جعلـت للاسـتمتاع علـى انفـراد ومنـه إنتـاج بصـري لا يخـرج مـن أسـواق المؤسسـة البورنوغرافيـة. فِعْلُهـا هـذا هـو قلـب لمعاشـها، أو محاولـة لهـذا القلـب، وسـمتها الأسـاس هـي نـوع مـن السـخرية. فـأول فيديـو نشـرته جوليـا كان يشـبه التهكـم علـى «البلوجـوب»، وهـذا، مـن خـلال تقديمهـا لهـذه المزاولـة بشـرب الكابوتشـينو، وتغميـس اصابعهـا فـي الكريمـا، ومصهـا إياهـا.

وفـي المطـاف عينـه، بتعليـق جوليـا لعلـم لبنـان فـي بيانها، بمـا هـو تأكيـد لكـون «العمـلان» عمـل، تجعـل مـن هـذا العلـم، ومـن هويتـه، علامـة لتمييـز انتاجهـا. ففـي سـوق

البورنوغرافيا، تتكشف الهويات، الذي يحض على رفعها، عن كونها من قبيل هذه العلامة، أو بالأحرى بمثابة ماركة لتمييز منتج من غيره. بالتالي، جوليا، وحين تستدعي علم لبنان، معرّفةً ذاتها بالانطلاق من كونه خلفيتها، فلكي تجعل هويته ماركة من تلك الماركات. وعلى هذا المنوال، تخلق للهوّية اللبنانية موضع بين الهويات الأخرى داخل السوق إياه في حين ألّا موضع في الأساس لها، لا سيما أنها، وعلى عكسها، لم تُتَمم، وفي محلها، مرحلتها البورنوغرافية، بل إنها توقفت على تبورنها. بهذا، العلم ليس مسند لبيان جوليا، مسند رجائه، لكنه، وأيضًا، بمثابة ماركة المنتج الذي يصدر عنه. تمامًا، مثلما هو الوضع لكتاب نيتشه، «إنساني مفرط في إنسانيته»، الذي تحمله في أحد الفيديوات قبل أن تنطلق في استمنائها، فهو مسند بيانها، ولكنه، علامة تميز منتجها عن مماثليه.

فعليًا، حين تصلُ جوليا بيانها بذاك البيان في سياق لبنانيّ، مغيّرةً إياه، فبالتوازي مع جعل «العملان» فيه عمل، تبدو أنها توجهه الى البورنو. بالطبع، هذا يتعلق بكونها تنشر فيديواتها على المواقع البورنوغرافية، مثلما يتعلق بجعلها منتجات، لكنه، يتعلق أيضًا بكون البيان، وبوقوعه بين اللا-مرآى والمرآى، يَبْرز منهما فيه، وبهذا، يسجلهما كما هما، وفي الوقت نفسه، يتخطاهما. تسجيله للا-مرآى هو تسجيل لتواري «الواحد» فيه. كما

أن تسجيله للمرآى هو، ولأنه تسجيل لمراءاة «الواحد»، فمن الضروري أن يكون بورنوغرافيًا، لا سيما أن حلم كل مرآى، كما كل شارة منه، أن يكون كذلك، وهذا، ما يسنح له أن ينتقل الى تواريه. على هذا النحو، وعندما تنتج جوليا بيانها، موجهةً إياه الى البورنو، تبديه كأنه على إرادة هذا التوجه، أي إنه يقلب تسجيله المرآى تطلعًا اليه، وهذا، ما لا يجعله ينتقل نحوه، أي يفتح الطريق له لكي يموت كبيان، ويولد كبورنو مختلف عن البورنو المؤسساتي.

[٢] مواصبة

مفارقة بيان الجنس انه مصنوع لـ«عملان الواحد»، لكنه، وفي الوقت نفسه، يقدمه كما هو أنه لا «ينعمل». ومفارقته أيضًا انه، وفي صناعته للـ«العملان»، يشارك في إبداء الجنس من قبل نظام المراءاة والمواراة، اي يشارك في الانهاء عليه، أما، وفي تقديمه عاصيًا على الـ«عملان»، فيكون محاولة لإنعاشه. لا يمكن القطع في كون هذه المحاولة قد لا تفضي إلى مكان ما أو العكس، لا يمكن القطع في كونها دومًا على سبيل البورنو، الذي، ومن جهته، يواظب على استدخالها أو صناعتها حتى. فمثلما ان المتفرجين عليه، وفي لحظة ما، يتحولون إلى منتجي فيديواتهم، كذلك، يتحول

منتجيـه إلـى متفرجيـن، وهـم يحاولـون إنتـاج فيديواتهـم فيـه. هـذا، مـا تـدل عليـه فيديـوات البورنـو المصـورة كمـا لـو أنهـا مـن صناعـة الهـواة.

ماذا يتبقى من الجنس اذًا؟

يطلـع الجنـس، وأينمـا كان، كوعـد بـ«الواحد»، وهـو لا يكون كذلـك سـوى حيـن يقـوم بنفـي أن «الواحـد» لا «ينعمـل». فعليًـا، طلوعـه علـى هـذا الشـكل هـو إطاحـة بـه، بقلبـه، بوصوبـه، أي بمبـدوده، وهـذه الإطاحـة لا تحصـل سـوى عنـد اختزالـه بكونـه الجمـاع. نافـل القـول إن هـذا الاختـزال يتعلـق بكـون الجنـس هـو حي قبـل الجمـاع، بعـده، وحوله، فـي كل النواحـي والجوانـب بيـن ممارسـيه، بيـن الخارجيـن اليـه علـى فصالهـم وبـه، وهـو حيـن يبلغـه، يصـل الـى أوجـه، الـذي يغـدو، وبتوقفـه عليـه، بمثابـة نهايتـه. علـى هـذا النحـو، اختـزال الجنـس بالجمـاع، أو توقيفـه عليـه، هو بمثابـة اقتضابـه بأوجـه، وتحويلـه، وكنهايـة، الـى «الواحـد»: إرادة «الواحـد» هـي إرادة إنهـاء الجنـس.

ولكـن، الجنـس مواصـب. فمثلمـا أنـه لا يتوقـف علـى الجمـاع فقـط، هـو لا ينقطـع الـى المـراءاة والمـواراة أيضًـا. إنـه، وبرغبتـه، دائـب، بحيـث إن اقتـلاع مبـدوده لا يفضـي سـوى إلـى أن يكـون فـي مطارحـه، وأوليًـا، عبـر كل مشـكلاته التـي تطـرق علـى ممارسـيه، والتـي يحـاول تقنيـو «الواحـد»، مـن سكسـولوغيين وسـواهم، تصليحهـا مقدميـن

أنمـاط «عملانـه»، يعنـي أنمـاط نفـي كونـه «لا ينعمـل» علـى أسـاس أنهـا معرفتـه بعينهـا. ألّا أن معرفـة الجنـس فعليًا هـي معرفـة مبـدوده، كمـا أنهـا معرفـة اثبـات هـذا المبـدود، هـي معرفـة كونـه مـن دون معرفـة، هـي معرفـة مـن دونهـا.



البائِــنُ منَ الجِـنـسِ فـي لـبـنـان

"...ولكن، في حـالِ كـان الواحــدُ هو رقـمَ الجنــسِ،
فما هو رقم الحبِّ؟ إنّـــه الصـفـــــرُ."

روجيه عوطة

كاتِبٌ لا يخشى التجريب.

لـــه: مدينـةٌ حافيـةُ الذاكرة، دار مينـرڤـا، ٢٠٠٩

مساهمة في: ايـقـاعـاتُ زمـنٍ مختلـف، كـتـابٌ واكـبَ معــرِضَ التشكيـلــيّ الفلسـطينــيّ توفيق عبـد العــال (١٩٣٨ـ ٢٠٠٢)، دار النمـر، ٢٠١٨.



